رصف المباني

في شرح حروف المعاني

لأبي جعفر المالقي

(دراسة صوتية)

إعداد

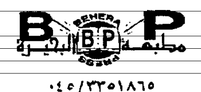
عادل محمد إبراهيم حسن

مدرس بكلية الدراسات الإسلامية

والعربية بدسوق

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



٠٤٥/٣٣٥١٨٦٥



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي وهب العربية صلاحية الزمان والمكان ، وامتَنَّ عليها بنزول قرآنه بها فصارت حديث الركبان ، والصلاة والسلام على منْ عالج بفصاحته سَقَم الألسنة فصالت وجالت في ميادين البيان – محمد بن عبد الله – وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد ...

فقد كانت العربية ثرية برجالها قديمًا ، ومازالت بهم أيضًا حديثـًا ، وبهؤلاء وهؤلاء يكتمل الصرح ويشتد ، وتظل الصورة كأبدع ما يكون تمثل عنواناً للماضي والحاضر والمستقبل .

وقد كان الإمام أبو جعفر المالقي من أبرز علماء القرن السابع الهجري صاحب الرؤى البصيرة ، والمصَّنفات العديدة ، وضع نصب عينه حال اللغة العربية فتفيأ في ظلالها ، وصال وجال في ربوعها ، وعالج كثيرًا من قضاياها ، فأثمر ثمارًا نضرة آتت أكلها فكان منها هذا الإنجاز المسمَّى بـ " رصف المباني في شرح حروف المعاني " .

وهو كتاب يحمل عنوان معاني الحروف في التراث العربي ، وخَصَّها بالذكر لكونها " أكثر دورًا ، ومعاني معظمها أشدّ غورًا ، وتركيب أكثر الكلام عليها ، ورجوعه في فوائده إليها " [1] .

وللحروف العربية أهمية خاصة في التراث العربي ، حيث يقول المرادي : " فإنه لما كانت مقاصد كلام العرب ، على اختلاف صنوفه ، مبنيًّا أكثرها على معاني حروفه ، صُرِفَت الهِمَمُ إلى تحصيلها ، ومعرفة جملتها وتفصيلها . وهي مع قلتها ، وتيسُّر الوقوف على جملتها ، قد كثر دورها ، وبعدُ غورها ، عزَّت على الأذهان معانيها ، وأبت الإذعان إلا لمن يعانيها " [2] .

" والواقع أن جميع المحاولات التي سبقت المالقي كان يتقصها أمران ضروريان هما : الرصد والشمول ، فلم تكن غاية هذه

---

(١) رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي . تحقيق . أحمد محمد الخراط صـ ٢ – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤هـ .

(٢) الجني الداني في حروف المعاني للمرادي . تحقيق . د . فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل صـ ١٩ . دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

وقد صُنِّفَت مؤلَّفات كثيرة في معاني الحروف منها : اللامات لأبي القاسم عبد الرحمن ابن إسحاق الزجاجي ، ومنازل الحروف لأبي الحسن علي بن عيسى الرُّماني ، والأزهية في علم الحروف لأبي الحسن علي بن محمد الهروي ، ومعاني الحروف لعبد الجليل بن فيروز الغرنوي ، والجني الداني في حروف المعاني لبدر الدين بن الحسن بن قاسم المرادي ، ومعاني الأدوات والحروف لابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر الحنبلي ، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام عبد الله بن يوسف الأنصاري . السابق صـ ٤ .

المحاولات رصد جميع معاني الأداة من ناحية ، وشمول جميع الأدوات من ناحية أخرى ، لذا كان لابد أن يكون أمام الدارسين مصنَّف يدرس حروف العربية على منهج فيه استقصاء وترتيب ، ويستفيد من المادة المتفرقة ، فيبوبها ، ويجمع في كل باب ما يختص بكل حرف ، ويذكر أقوال العلماء وما كان بينهم من مناقشات وجدال ، وكان المالقي هو رائد هذه المحاولة " [١] .

وقد عبَّر المؤلِّف عن الهدف من تأليف هذا الكتاب بقوله : " فوجدت منهم مَنْ أغفل بعضها وأهمل ، ومن تسامح في الشرح وتسهَّل ، ومَنْ اختصر منها وأسهب ، ومن ركَّب البسيط وبسط المركب ، ومَنْ شتت ألفاظَها وعَدَّد ، وأطال الكلام لغير فائدة ورَدَّد . فدعاني الغرض الخاطر ، والرفيق العابر ، أن أؤلِّفَ فيها كتابًا يشتمل على شرحها ، وإيضاح ما خَفِيَ من بَرْحها [٢] ، ليشفى صدرُ الناظر فيه على المأمول ، ويفيده إن شاء الله إن أخذه بالقبول " [٣] .

فهو كتاب يحمل بين دفتيه عبق التراث العربي الخالد الذي قَدَّم الأقدمون من خلاله خلاصة جهدهم كأنموذج يحتذي به على

---

(١) مقدمة المحقق في رصف المباني .
(٢) البَراح : الظهور والبيان . لسان العرب لابن منظور الإفريقي . تحقيق . عبد الله علي الكبير وآخرين (برح) ١ / ٢٤٥ – مطبعة دار المعارف .
(٣) رصف المباني ص ٢ .

مر العصور والأزمان ، سمَّاه مؤلِّفه : " رصف المباني في شرح حروف المعاني " ليكون اسمه وفق معناه ، ولفظه مترجماً على فحواه " [1] .

ومع أن هذا الكتاب يتحدث عن معاني الحروف في العربية إلا أنه يحوي بين دفتيه كثيرًا من القضايا الصوتية الناتجة عن تلك التغيرات الطارئة على الأصوات في السياقات المختلفة ؛ فـ " الأصوات كلبنات البناء تتألف منها المقاطع والكلمات ثم تتكون الجمل ، وهذا هو الوجود الحي لأصوات اللغة ... وإذا كانت دراسة الأصوات مفردة لها أهميتها ، فإن دراستها عندما تتجاور – مكونة وحدة لغوية – أكثر أهمية : ذلك لأن للأصوات علاقاتها كتلك التي بين الأفراد والأسرة ، يؤثر القوي فيها على الضعيف ، ويتأثر البعض بصفات غيره وخصائصه " [2] .

فالصوت اللغوي بلا شك له ملامحه المميزة في حالة السياق والتي قد تختلف عنه في حالة الإفراد ، وذلك لما يتعرض له الصوت من مؤثرات تغير أحيانًا من طبيعته التي كان عليها " فإذا أحكم

(1) رصف المباني ص٢ .
(2) علم الصوتيات . د . عبد الله ربيع ، د.عبد العزيز علام ص ١٤ – المكتبة التوفيقية .

القارئ النطق بكل حرف على حدته موف حقه فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب ؛ لأنه ينشأ عن التركيب ، ما لم يكن حالة الإفراد ، وذلك ظاهر ، فكم من يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب ، وقوي وضعيف ومفخم ومرقق ، فيجذب القوي الضعيف ، ويغلب المفخم المرقق ، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب ، فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصَّل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب " [1] .

ونظراً لتلك الأهمية التي تحظى بها أصوات العربية أفردتها بالدراسة في هذا البحث تحت عنوان " كتاب رصف المباني في شرح حروف المعاني لأبي جعفر المالقي . دراسة صوتية ".

وقد عرضت في تلك الدراسة لحياة المؤلِّف في سطور من خلال تمهيد ، ثم صنَّفتها إلى خمسة مباحث على النحو التالي :

المبحث الأول : الهمز والتخفيف .

المبحث الثاني : الإبدال .

المبحث الثالث : المماثلة والمخالفة .

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/ ٢١٤ ، ٢١٥ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

المبحث الرابع : الإشباع والاختلاس .

المبحث الخامس : الوقف .

وبعد ، فالله سبحانه وتعالى أسأل السلامة من كل خطل ، والحفظ من كل زلل ، وجزى الله عني خيرًا امرأً بصّرني بعيوبي ، وذكّرني بغفلتي ، فلله - سبحانه وتعالى - وحده العصمة ، جلّت قدرته وعلا شأنه ولا إله غيره ، هو الموفق والمعين والهادي إلى سواء السبيل .

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (1) .

---

(1) سورة الممتحنة من الآية (٤) .

تمهيد

(حياة المؤلِّف في سطور)

ذكرت كتب التراجم أن صاحب كتاب " رصف المباني في شرح حروف المعاني " هو الشيخ : أحمد بن عبد النوُّر بن أحمد ابن راشد المالقي المالكي النحويّ المقرئ ، يكنى أبا جعفر ، من أهل مالقة ، ويعرف بيته بها ببني راشد ولا يعلم له نسبًا إذ لم يكتبه ، وشُهر بابن عبد النور [1] .

والمَالِقي – بفتح الميم وكسر اللام وفي آخرها قاف – نسبة إلى مالِقة ، وهي بلدة من بلاد الأندلس ، وينسب إليها كثير ، منهم عزيز بن محمد اللخمي المالِقي ، وسليمان بن سليمان المعافرى المالِقي [2] .

---

(١) انظر : الإحاطة في أخبار غرناطة . لسان الدين بن الخطيب . حققه . محمد عبد الله عنان ١ / ٢٠٣ – دار المعارف بمصر ، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١ / ٧٧ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م ، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . حاجي خليفة ١ / ٩٠٨ – ط بيروت ، وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للبغدادي ٢ / ٢٩٠ ، ٥٤٥ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ١ / ٣٣١ – دار الفكر – الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، ومعجم المؤلفين . عمر رضا كحالة ١ / ٣٠٥ – مكتبة المثنى – دار إحياء الكتب العربية – بيروت .

(٢) اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري . تحقيق . عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ٢ / ٢٨٩ ، ٢٩٠ – منشورات محمد على بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

رحل من بلده مالِقة إلى سَبْتَة ، ثم انتقل إلى الأندلس وأقرأ بوادي آشْ مدة ؛ وتردّد بين المريّة وبُرْجَة ، يقرئ بها القرآن ، وغير ذلك مما كان يشارك فيه ، وناب عن بعض القضاة وقتاً ، ودخل غرناطة أثناء هذا السفر .

وهب نفسه للعلم فأكب عليه بالدرس والتحصيل ، فأصبح متعته الفريدة ، وغايته الوحيدة ، فجهل من أجل ذلك كثيرًا من أسباب الدنيا ، وُصِف من خلالها بالبله والغفلة .

وله في ذلك حكايات كثيرة دائرة على ألسنة الثقات من الملازمين له وغيرهم ، لولا تواترها لم يصدق أحدبها ، منها : أنهم حاولوا طبخ لحم في بعض النُّزَه فذاق الطعام من المِلح بالمِغرفة ، فوجده محتاجًا للملح ؛ فجعل فيه مِلحًا وذاقه على الفَوْر ، قبل أن ينحلَّ الملح ويسرى في المَرَقة الأولى ، فزاد ملحًا إلى أن جعل فيه قَدْر ما يَرْجُح اللحم ، فلم يقدروا على أكله .

كان ضيق الحال فدخل المُرِّيَة ، فوجدها صِفْرًا ممن يشتغل بالنحو ، فأقام بها يشغل الناس فيه ، فحسُنت حاله ... قال في النُّضَار : كان عالمًا بالنحو ؛ وكان لا يقرأ كتاب سيبويه ، فكان أصحابنا إذا ذُكر يقولون : هل يقرأ كتاب سيبويه ؟ فيقال : لا ، فيقولون : لا يعرف شيئًا .

فكان المالقي قَيِّمًا على العربية ، إذا كانت جُلَّ بضاعته ؛ يشارك مع ذلك في المنطق على رأي الأقدمين ، وعَرُوض الشعر ،

وفُرُوض العبادات من الفقه ، وقَرْض الشعر ، وكان له اعتناء بفَكِّ المُعَمَّى ، والتَّنقير عن اللُّغُوز .

كان ذكي الصوت عند قراءة القرآن ، خاشعًا به ، أخذ القرآن قراءة على طريق أبي عَمْرو الداني ، على الخطيب أبي الحسن الحجاج بن أبي رَيْحانة المَرْبلِّي ، ولا يُعلم له في بلده شيخ سواه ، إذ لم يكن له اعتناء بلقاء الشيوخ ، والحمل عنهم .

فمن شيوخه : أبي عبد الله محمد بن يحيى بن على ابن مفرّج المالقي ، والخطيب أبي الحجاج يوسف بن إبراهيم ابن يوسف بن سعيد بن ريحانة الأنصاري المالقي المَرْبلِّي ، وأبي الحسن بن الأخضر المقرئ العروضي .

وأما تلاميذه فلا يعرف منهم إلا أثير الدين محمد ابن يوسف الغرناطي الأندلسي المعروف بأبي حيان .

وأما عن مصنّفاته فقد ترك الكثير ، منها :

(١) الحِلْية في ذكر البسملة والتصلية .

(٢) جزء في العروض ، وجزء في شواذه .

(٣) شرح الكامل لأبي موسى الجُزُولى ، مكون نحو المُوَطأ في الجِرْم .

(٤) شرح مقرِّب أبي عبد الله بن هشام الفِهْرى المعروف بابن الشوَّاش ، ولم يتم ، انتهى فيه إلى همزة الوصل ، يكون نحو الإيضاح لأبي علي .

(٥) تقييد على الجمل غير تام .

(٦) شرح الجمل الكبيرة للزجاجي في النحو .

(٧) رصف المباني في شرح حروف المعاني .

وأما عن شعره فهو وسَط ، بعيد عن طرفي الغثّ ، والثمين أبعد ، وكان لا يتغنى يه ولا يتكلفه ، ولا يقصد قصده ، وإن ذلك لعذر في عدم الإجادة . ومنه :

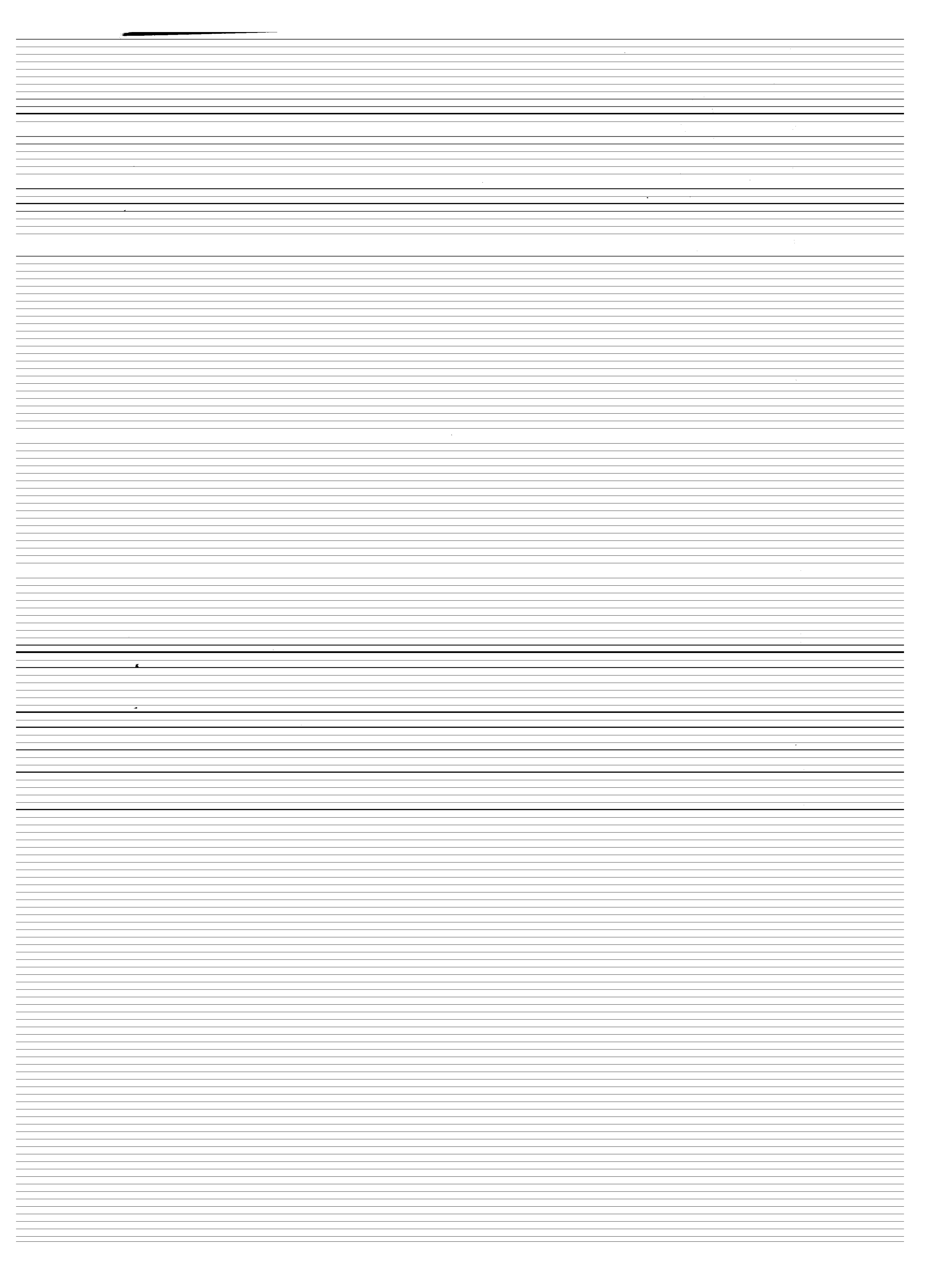
محاسن من أهْوى يضيق لها الشرحُ ... له الهمَّةُ العَلْياء والخلق السمحُ
له بهجة يَغْشَى البصائر نورُها ... وتَغْشَى بها الأبصار إن غَلَس الصبحُ
إذا ما تَرنَّى فاللَّحظ سَهْمٌ مُفَوَّقٌ ... وفي كل عُضْو من إصابته جُرْح
إذا ما انثنى زهواً وولَّى تَبَخْتُراً ... يغار لذاك القدِّ من لينه الرمح

وقد تُوفِّي هذا العالم بالمريّة يوم الثلاثاء السابع والعشرين لربيع الآخر من عام اثنين وسبعمائة ، ودفن بخارج باب بجاية بمقبرة من تُرْبة الشيخ الزاهد أبي العباس بن مَكْنُون ، وذلك بعد أن عَمَّر اثنين وسبعين سنة ، حيث كانت ولادته في رمضان من عام ثلاثين وستمائة – رحمه الله آمين – [1] .

---

(١) انظر : الإحاطة ١ / ٢٠٤ : ٢٠٩ .


المبحث الأول
الهمز والتخفيف



الهمز والتخفيف

عرضت كتب العربية قديمًا وحديثًا لقضية " الهمز والتخفيف " أجمعت من خلاله الروايات على أن تحقيق الهمز سمة من سمات القبائل البدوية ، في حين حمل التخفيف بصوره سمة القبائل الحضرية .

وقد قدَّم الدكتور / أحمد علم الدين الجندي دراسة وافية حول هذه القضية متتبعًا إياها في كتب العربية ، حيث ظهر له بعد البحث أن القبائل التي تميل إلى تحقيق الهمز هي :

١ – تميم ٢ – تَيْم الرباب ٣ – غَنى ٤ – عكل ٥ – أسد
٦ – عقيل ٧ – قيس ٨ – بنو سلامة من أسد .

بينما القبائل الأخرى : كالحجاز ، وغاضرة ، وهذيل ، وأهل المدينة والأنصار ، وقريش ، وكنانة ، وسعد بن بكر يميلون إلى البعد عن الهمزة ، بتخفيفها أو تسهيلها تارة ، أو تحويلها أو نقلها تارة أخرى [1] .

وليس معنى ذلك أن هذا الأمر قانون ثابت عند أصحاب هذه اللهجات ، فقد وردت بعض الكلمات بتحقيق الهمزة إلى أهل الحجاز ، وبعضها بالتخفيف إلى تميم [2] ، وهو مما يؤكد أن القوانين

---

(١) اللهجات العربية في التراث.د.أحمد علم الدين١ / ٣٣٦ – الدار العربية للكتاب ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م .

(٢) انظر : كتاب سيبويه . تحقيق . عبد السلام محمد هارون ٣ /٥٥٥ – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩٩م ، وإصلاح المنطق لابن السكيت . تحقيق الشيخ : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون صـ ١٥٩ – دار المعارف – الطبعة الرابعة ١٣٦٨ هـ – ١٩٤٩م،والمصباح المنير للفيومي (راس) صـ ٩٤ – مكتبة لبنان – بيروت ١٩٩٠م .

التي تخضع لها اللهجات ليست كالقوانين الطبيعية في الكون تلتزم حالة واحدة لا شذوذ فيها ، بل يكتفي اللغوي عادة حين يحكم على صفات لهجة من اللهجات بالحكم على الكثيرة الغالبة من صفاتها (١) .

وقد فُعِل هذا بالهمزة العربية خاصة دون سائر حروف العربية الأخرى كما ذكر سيبويه : " اعلم أن الهمزة إنما فُعِل بها هذا " التخفيف " مَنْ لم يحققها ، لأنه بعُدَ مخرجها ، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد ، وهي أبعد الحروف مخرجًا ، فثقل عليهم ذلك (أي تحقيق الهمزة) لأنه كالتهوع " (٢) .

وترد الهمزة في العربية على أحوال عدة ذكرتها قواعد النحاة ، ثم أهل القراءات ، ولكل حالة من هذه الحالات ما يناسبها من التخفيف (٣) .

---

(١) في اللهجات العربية . د . إبراهيم أنيس صـ ٧٧ – مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة السادسة ١٩٨٤م .

(٢) الكتاب ١ / ٥٤٨ . وانظر : التكملة لأبي علي الفارسي . تحقيق . كاظم بحر المرجان صـ٢١٢ –١٤٠١هـ – ١٩٨١ م ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها . مكي بن أبي طالب القيسي . د . محيي الدين رمضان – مؤسسة الرسالة – الطبعة الرابعة – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، وشرح المفصل لابن يعيش ٩ / ١٠٧ – عالم الكتب – بيروت ، وشرح الرضي على شافية ابن الحاجب . حققه . محمد نور الحسن وآخرون ٣ / ٣١ – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م . والتهوع : تكلُّف القيء ، فهو ضرب من التكلف . لسان العرب (هوع) ٦ / ٤٧٢١ .

(٣) انظر : الكتاب ٣ / ٥٤٢ : ٥٥٤ ، وشرح المفصل ٩ / ١٠٧ : ١١٨ ، وشرح الرضي على شافية ابن الحاجب ٣ / ٣٢ : ٦٥ ، والنشر ١ / ٣٦٢ : ٤٩١ ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١ / ١٣٠ – دار المعرفة – بيروت ، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي . تحقيق . د . شعبان محمد إسماعيل ١ / ١٧٧ : ٢٤٦ – عالم الكتب – مكتبة الكليات الأزهرية – الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م .

[الهمز والتخفيف في رصف المباني]

يضم كتاب " **رصف المباني** " بين ثناياه بعض حالات الهمز والتخفيف الواردة في العربية ، وتفصيلها على النحو التالي :

أولاً : الهمزة المفردة المتحركة .

ذكر علماء العربية أن الهمزة المفردة المتحركة تأتي متحركة قبلها متحرك ، وأحوالها تختلف بحسب حركتها وحركة ما قبلها ، ثم تأتي متحركة قبلها ساكن ، قد يكون ساكنًا صحيحًا أو ألفًا أو واوًا أو ياء .

والعربية تحظى بحالات تسع للهمزة المفردة المتحركة وقبلها متحرك وهي أن تكون :

أ – مفتوحة وقبلها الحركات الثلاث نحو : سَأَل ومائة ومُؤَجل .

ب – مكسورة وقبلها الحركات الثلاث نحو : سَئِم ، مستهزئين ، سُئِل .

جـ – مضمومة وقبلها الحركات الثلاث نحو : رَءُوف ، مستَهزِئُون ، رُءوس [1] .

والبحث في " **رصف المباني** " في هذا النوع يحمل عنوان : " **الهمزة المكسورة وقبلها مفتوحًا** ".

---

(١) ينظر : الكتاب ٣ / ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، وشرح المفصل ٩ / ١٢٢ ، وشرح الرضي على شافية ابن الحاجب ٣ / ٤٤ .

النص :

(١) ذكر المؤلِّف في باب " **الهمزة المفردة** " أنها قد تحذف " في نادر كلام ، كما قرأ بعضهم : " إنها لَحْدَى الكبر "[١] فأسقط الهمزة تخفيفًا ولا يقاس عليه " [٢] .

(٢) في باب " لن " ذكر أنها " حرف ناصب للفعل الذي بعدها بنفسها على مذهب سيبويه وأكثر النحويين ، وهي عند الخليل حرف مركب من " لا " النافية و " أنْ " الناصبة ، فأصلُها عنده : " لا أن " ثم خُفِّفتْ همزة " أنْ " بالتسهيل بالحذف فصار : " لا أنْ " ثم حُذِفَتْ الألف لالتقاء الساكنين ، كما فعل في " لحْدى الكُبر "، على قراءة مَنْ حذَف الهمزة من القرَّاء في الشاذ ، وأصلها عند الفرَّاء : لا النافية ، أُبدل من ألفِها نونٌ ؛ لأنَّ الألف والنون في البدل أخوان ، فكما تبدل النون ألفًا في الوقف في نحو ﴿ لَنَسْفَعًا ﴾ [٣] ، كذلك تبدل النون ألفًا في نحو زيدًا " [٤] .

---

(١) سورة المدثر من الآية (٣٥) .

(٢) رصف المباني صـ ٤٤ .

(٣) سورة العلق من الآية (١٥) .

(٤) رصف المباني صـ ٢٨٥ .

التعليق :

ذكر المؤلِّف أن الهمزة المكسورة وقبلها مفتوحًا تخفف بالحذف على رأي الخليل مستشهدًا على ذلك بقراءة في الشواذ لم يقم بنسبتها ، وهي (لحْدى الكبر) بحذف الهمزة .

وقد نسبت هذه القراءة إلى نصر بن عاصم ، وابن محيصن ، ووهب بن جرير عن ابن كثير [1] .

والحذف : هو أن تسقط الهمزة من اللفظ البتة [2] ، أي إعدامها دون أن يبقى لها صورة [3] .

والقراءة بالحذف في هذا الموضع تخالف قياس النحاة كما ذكر المؤلِّف ؛ لأن القياس في الهمزة المكسورة المفتوح ما قبلها من حيث التخفيف هو التسهيل " بَيْنَ بَيْنَ " ، حيث يقول ابن الحاجب :

---

(١) انظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد . تحقيق . د . شوقي ضيف صـ ٦٥٩ ، ٦٦٠ – دار المعرفة – الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ ، والحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي . تحقيق د . عبد العال سالم مكرم ٦ / ٣٣٩ – مؤسسة الرسالة – الطبعة الخامسة – ١٤١٠هـ – ١٩٨٣ م ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية . تحقيق . أحمد صادق الملاح ١٦ / ١٦٤ – القاهرة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤ ، والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ١٠ / ٧١٢١ – دار الغد العربي – الطبعة الأولى – ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م ، والبحر المحيط لأبي حيان ١٠ / ٣٣٦ – دار الكتاب الإسلامي – القاهرة – الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ١٩٩٢م ، والدر المصون في علوم الكتاب المبين للسمين الحلبي . تحقيق . علي محمد معوض وآخرين ٦ / ٤١٩ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

(٢) شرح المفصل ٩ / ١٠٧ .

(٣) التمهيد في علم التجويد لابن الجزري . تحقيق . د . علي حسين البواب صـ ٥٦ – مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

" الهمزة المفتوحة وقبلها ضمة نحو : مُؤَجل تبدل واوًا ، والمفتوحة وقبلها كسرة تبدل ياء ، وباقي الحالات تخفف بالتسهيل إلى همزة : (بين بين) "[١] .

والتسهيل : هو عبارة عن تغيير يدخل الهمزة[٢] فتصير الهمزة إلى " بين بين " ، أي تكون الهمزة بينها وبين الحرف الذي منه حركتها ، إن كانت مفتوحة ، فهي بين الهمزة والألف ، وإن كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء ، وإن كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو "[٣] .

ثانيًا : الهمزتان المتحركتان في كلمة .

إذا كانت الهمزة المفردة تحتاج للتخفيف فلا شك أن توالي الهمزتين يكون أكثر احتياجًا لمثل ذلك " فالهمزة المفردة قد احتاجت إلى جهد عضلي جعل اللهجات العربية تفر منها بتسهيلها مرة وسقوطها مرة أخرى ، فمما لاشك فيه أن توالي همزتين أشق ، ويحتاج إلى جهد عضلي أكثر في نطقها "[٤] .

فـ " الهمزة على انفرادها حرف بعيد المخرج جَلْد صعب على اللّافظ به ، بخلاف سائر الحروف ، مع ما فيها من الجهر والقوة ،

---

(١) شافية ابن الحاجب بشرح الرضى ٣ / ٤٤ : ٤٦ . وانظر : الكتاب ٣ / ٥٤٢ ، والنشر ١ / ٣٩٩ ، وإتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٠٧ .

(٢) التمهيد صـ ٥٦ .

(٣) سر صناعة الإعراب لابن جني . تحقيق . أحمد فريد أحمد ١ / ٥٧ – المكتبة التوفيقية .

(٤) الأصوات اللغوية . د . إبراهيم أنيس صـ ٩٢ ، ٩٣ – دار الأنجلو المصرية – الطبعة الخامسة ١٩٧٩م .

ولذلك استعملت العرب في الهمزة المفردة ما لم تستعمله في غيرها من الحروف ، فقد استعملوا فيها : التحقيق ، والتخفيف ، وإلقاء حركتها على ما قبلها ، وإبدالها بغيرها من الحروف ، وحذفها في مواضعها ، وذلك كله لاستثقالهم لها ، ولم يستعملوا ذلك في شيء من الحروف غيرها ، فإذا انضاف إلى ذلك تكريرها كان أثقل كثيرًا عليهم ... " [١] .

فليس في كلام العرب أن تلتقي همزتان فتُحقّقا كما قال سيبويه [٢] .

وقد عقد ابن الجزري " بابًا في الهمزتين المجتمعتين من كلمة " ذكر من خلاله أن الهمزة الأولى منهما تأتي " زائدة للاستفهام ولغيره ، ولا تكون إلا متحركة ، ولا تكون همزة الاستفهام إلا مفتوحة ، وتأتي الثانية منهما متحركة وساكنة ، فالمتحركة همزة قطع وهمزة وصل ، فأما همزة القطع المتحركة بعد همزة الاستفهام فتأتي على ثلاثة أقسام : مفتوحة ، ومكسورة ، ومضمومة [٣] .

وهمزة القطع المتحركة بعد همزة الاستفهام هي عنوان البحث في " رصف المباني " .

---

(١) الكشف ١ / ٧٢ .

(٢) الكتاب ٣ / ٥٤٨ ، ٥٤٩ . وانظر : الحجة في علل القراءات السبع ١ / ٢٧٩ .

(٣) النشر ١ / ٣٦٢ . وانظر : إتحاف فضلاء البشر ١ / ١٧٧ .

النص :

(١) في باب " الألف " ذكر المؤلِّف " أن تكون فصْلاً بين نوني التوكيد ونون ضمير الجميع المؤنث نحو قولك : " اضرِبْنانِّ زيدًا " ، لأنه لو لا الفصل بالألف لاجتمعت ثلاث نونات ، فيقال : " اضربْنَنَّ زيدًا " ، وذلك مُسْتثقل ، وحكى من كلام ابن مَهْدِيَّة : اخسأنانِّ عني ، أو بين الهمزتين لأجل الاستثقال أيضًا ، فتقول في أأَنتم قلتم : أاأَنتم قلتم ، وفي أإذا : أاإذا ، وفي أأُنزل : أاأُنزل ، وعليه قراءة هشام من رواية ابن عامر : ﴿ ءَاأَنذَرْتَهُمْ ﴾ [١] ، و ﴿ أاإذا كُنَّا تُرَابًا ﴾ [٢] و ﴿ أاأُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ [٣] وما كان نحوه ، وبعضُهم يسهِّل الهمزة الثانية بَيْنَ بَيْنَ تخفيفًا ولا يدخل ألفًا بينهما ، وبعضهم يُدخلها مراعاة للأصل ، وبعضهم يخففِّها ولا يُدخل ألفًا ، لأن الهمزة الأولى عارضة ، ولكلٍ وجه ونظر وهو لغة مسموعة .

قال ذو الرُّمَّة :

أاأَن تَوَسَّمْتَ من خَرْقاءَ مَنْزِلَةً ماءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ [٤]

---

(١) سورة البقرة من الآية (٦) .

(٢) سورة الرعد من الآية (٥) .

(٣) سورة ص من الآية (٨) .

(٤) ديوان شعر ذي الرمة صـ ٥٦٧ – كمبردج ١٣٣٧هـ – ١٩١٩ م . وانظر : الخصائص لابن جني . تحقيق . محمد علي النجار ٢ / ١١ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، وشرح المفصل ١٠ / ١٦ ، ولسان العرب (عنن) ٤ / ٣١٤٣ . وخرقاء : اسم امرأة ، والمنزلة : موضع النزول ، والمسجوم : المصبوب .

وقال أيضًا :

أَيا ظَبيَةَ الوَعْساءِ بَيْنَ جُلاجِلٍ   وبَيْنَ النَقا اأانْتِ أمْ أمُّ سالمٍ[١]

وقال آخر :

حُزُقٌّ إذا ما القومُ أَ بْدَوْا فُكاهةً   تفكّر اأإيّاهُ يَعْنُونَ أم قِرْدا[٢]

ففصل بالألف كل واحد منهم ، استثقالاً لجمع الهمزتين .

وقال آخر في الجمع بينها دون فصل[٣] :

أأنتَ الهلالِيُّ كُنْتَ مَرَّةً   سَمِعْنا بهِ والأرْحَىُّ المُلَقَّبُ

ولغة الفصل أكثر "[٤].

(٣) في باب " الواو المفردة " يقول المؤلّف : " فالقسم التي هي بدل من همزة لها ثلاثة مواضع :

الموضع الأول : أن تكون بدلاً من همزة الاستفهام إذا كان بعدها ألف وهمزة مسهلة نحو قولك في آآليت : وآليت ، وفي آآمنتم : وآمنتم ، ومنه قراءة قنبل من رواية ابن كثير : ﴿ وآمَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾[٥] ، وإنما ذلك لكراهة اجتماع همزتين في الأصل وإنْ كان بينهما ألف .

---

(١) ديوان ذي الرمة صـ٦٢٢.وانظر:الكتاب٢ / ١٩٥،والخصائص٢ /٤٥٨،وشرح المفصل٩ / ١١٩ .

(٢) انظر : لسان العرب (الهمزة) ، وشرح المفصل ٩ / ١١٨ – والحزق : القصير .

(٣) انظر : همع الهوامع للسيوطي ١ / ٨٧ – مصر ١٣٢٧هـ – والرواية فيه : الأرجى المغلب .

(٤) انظر : شرح المفصل ٩ / ١١٨ . والنص في رصف المباني صـ ٢٥ ، ٢٦ .

(٥) سورة الأعراف من الآية (١٢٣) .

الموضع الثاني : أن تكون بدلاً من همزة المضارعة في الفعل الرباعي إذا دَخلتْ عليها همزة الاستفهام نحو قولك في أأُكْرِمُ زيدًا : أوكرم زيدًا ، وفي أَأُنبئك ، والأصل : أأُكرم زيدًا ، وأأُنبئك بكذا ، وهذا من باب تسهيل الهمزة المضمومة بنسبة حركتها التي هي الضمة ، وقرأ بعض القراء نحو قوله تعالى : ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ (1) ، و ﴿ أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ (2) ، و ﴿ أَؤُشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ﴾ (3) و ﴿ أَؤُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ ﴾(4) ... " .

التعليق :

يحمل النصان السابقان ثلاث حالات لهمزة القطع المتحركة بعد همزة الاستفهام بيانها على النحو التالي :

الحالة الأولى : همزة القطع المفتوحة بعد همزة الاستفهام

ذكر ابن الجزري أن همزة القطع المفتوحة تأتي على ضربين : ضرب اتفقوا على قراءته بالاستفهام ، وضرب اختلفوا فيه . فالضرب المتفق عليه يأتي بعده ساكن ومتحرك ، فالساكن يكون صحيحًا وحرف مد (5).

---

(١) سورة آل عمران من الآية (١٥) .

(٢) سورة ص من الآية (٨) .

(٣) سورة الزخرف من الآية (١٩) .

(٤) سورة القمر من الآية (٢٥) . رصف المباني صـ ٤٣٨ ، ٤٣٩ .

(٥) النشر ١ / ٣٦٢ .

وكتاب " رصف المباني " يحمل عنوانين لتلك الحالة وهما :

العنوان الأول : الضرب المتفق عليه بالاستفهام وبعده ساكن صحيح

ذكر المؤلِّف لهذا الضرب كلمة واحدة في موضعين ، وذلك من خلال عشر كلم في ثمانية عشر موضعًا لهذا النوع وهي (أأنذرتهم) في موضعي البقرة ويس [١].

وقد أورد المؤلِّف لتلك اللفظة خمس قراءات من مجمل ثمانية ، لم ينسب منها إلا القراءة الأولى فقط إلى هشام من رواية ابن عامر ، وهي :

(١) الفصل بالألف بين الهمزتين المحققتين :

وهي قراءة عبد الله بن عباس ، وابن أبي إسحاق ، ونافع بخلف عنه ، وهشام من طريق الجمال .

والتحقيق هو : " أن تعطى الهمزة حقها من الإشباع ، فإذا أردت أن تعرف إشباع الهمزة فاجعل العين في موضعها كقولك : الخَبءُ قد خَبَأْت لك بوزن خَبَعْتَ لك ... " [٢].

فهو عبارة عن النطق بالهمزة خارجة من مخرجها الذي هو أقصى الحلق كاملة في صفاتها [٣].

---

(١) انظر : السابق ١ / ٣٦٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ١ / ١٧٧ .

(٢) لسان العرب (حرف الهمزة) ١ / ٢٣.

(٣)الإضاءة في بيان أصول القراءة . على بن محمد الضباع – صـ ٤٨ – طبعة عبد الحميد حنفي – القاهرة ١٩٣٨م .

(٢) تحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية (بَيْنَ بَيْنَ) مع عدم إدخال ألف بينهما :

وهي قراءة ورش من طريق الأصبهاني وابن كثير ورويس .

(٣) تحقيق الأولى وتسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما :

وتنسب لقالون وأبي عمرو وهشام من طريق ابن عبدان وغيره عن الحلواني ، وأبي جعفر واليزيدي .

(٤) تحقيق الأولى وإبدال الثانية ألفًا :

وهي قراءة ورش عن نافع . والإبدال كما يقول ابن يعيش هو : " أن تزيل نبرتها فتلين ، فحينئذ تصير إلى الألف والواو والياء على حسب حركتها وحركة ما قبلها " .

(٥) تحقيق الهمزتين من غير إدخال ألف بينهما :

وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر إذا حققها [١].

العنوان الثاني : همزة القطع المفتوحة وبعدها مد :

وهو الضرب المختلف فيه بين الاستفهام والخبر وبعده حرف مد ، والمروى عن قنبل في هذه الحالة وهي قوله تعالى : (أأمنتم) في الأعراف إبدال الهمزة الأولى بعد ضمة نون فرعون واوًا خالصة حالة الوصل [٢].

---

(١) انظر : السبعة في القراءات صـ ١٣٦ ، ١٣٧ ، والحجة في علل القراءات السبع ١ / ٢٤٤ ، وحجة القراءات لأبي زرعة . تحقيق.سعيد الأفغاني صـ ٨٦ – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م ، والكشف١ / ٧٣ ، ٧٤،والنشر ١ / ٣٦٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١ / ٢٣٢ ، والبحر المحيط ١ / ٧٩ ، والدر المصون ١ / ١٠٥ ، ١٠٦ ، وإتحاف فضلاء البشر ١ / ١٧٨ .

(٢) النشر ١ / ٣٦٩ .

الحالة الثانية : همزة القطع المكسورة بعد همزة الاستفهام

ذكر ابن الجزري أن همزة القطع المكسورة تأتي على ضربين : ضرب اتفقوا على قراءته بالاستفهام ، وضرب اختلفوا فيه ، والمختلف فيه بين الاستفهام والخبر [١] يأتي على قسمين : قسم مفرد تجيء الهمزتان فيه وليس بعدها مثلهما ، وقسم مكرر تجيء الهمزتان وبعدهما مثلهما [٢].

وكتاب " رصف المباني " يحمل عنوان (المكرر من الاستفهامين) .

وجملة هذا العنوان في القرآن الكريم أحد عشر موضعًا من تسع سور نصَّ المؤلِّف منها على قوله تعالى : ﴿ ... أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا ... ﴾ في سورة الرعد فقط [٣].

وجملة القراءات الواردة في هذه الآية على النحو التالي :

(١) التسهيل والمد : (إدخال ألف بينهما) وتنسب لأبي عمرو ونافع .

(٢) التسهيل والقصر : وهي قراءة ابن كثير ورويس وورش .

---

(١) اختلفوا في الأخبار بالأول منهما والاستفهام في الثاني وعكسه والاستفهام فيهما ، فقرأ ابن عامر وأبو جعفر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني ... وقرأ نافع والكسائي ويعقوب بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني . وقرأ الباقون بالاستفهام فيهما . النشر ١ / ٣٧٣ . وانظر : السبعة صـ ٣٥٧ ، ومفاتيح الغيب ١٧ / ١٩٣ .

(٢) ينظر : النشر ١ / ٣٦٩ : ٣٧١ .

(٣) ينظر : السابق ١ / ٣٧٢ ، ٣٧٣ . وإتحاف فضلاء البشر ١ / ١٨٦ .

(٣) التخفيف والقصر : وهي قراءة الكسائي وروح .

(٤) التحقيق فيهما مع القصر : وتنسب لعاصم وحمزة وخلف [١].

الحالة الثالثة : همزة القطع المضمومة بعد همزة الاستفهام

ذكر ابن الجزري هذه الحالة بقوله : " وأما الهمزة المضمومة فلم تأت إلا بعد همزة الاستفهام . وأتت من ثلاثة مواضع متفق عليها . وواحد مختلف فيه . فالمواضع المتفق عليها في آل عمران : ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ... ﴾ وفي ص : ﴿ أأنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ... ﴾ وفي القمر : ﴿ أأُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ ... ﴾ .

وأما الموضع المختلف فيه من هذا الباب فهو : ﴿ ... أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ... ﴾ في الزخرف "[٢].

وقد نـَصَّ المؤلِّف على جميع هذه المواضع المتفق عليها والمختلف فيها ، فذكر في الآية الثانية جميع القراءات الواردة فيها ، في حين اقتصر في الآيات الثلاث الأخرى على القراءة بتسهيل

---

(١) ينظر : السبعة في القراءات صـ ٣٥٧ ، والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني صـ ١٠٧ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م ، وحجة القراءات صـ ٣٧١ ، والكشف ٢ / ٢٠ ، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٧ / ١٩٣ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الأولى ١٤٠١هـ – ١٩٨١ ، والنشر ١ / ٣٧٣ ، والبحر المحيط ٦ / ٣٥١ ، ٣٥٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ١٦٠ .

(٢) النشر ١ / ٣٧٤ ، ٣٧٥ . وانظر إتحاف فضلاء البشر ١ / ١٨٨ .

الهمزة الثانية فقط ، وفيما يلي عرض لهذه القراءات كما وردت عند المؤلِّف مع نسبتها لقرائها :

الآية الأولى : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ... ﴾.

بتسهيل الهمزة الثانية (بَيْنَ بَيْنَ) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وورش وأبو جعفر ورويس [1].

الآية الثانية : ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ... ﴾ .

ورد لالتقاء الساكنين هنا أربع قراءات بيانها على النحو التالي :

القراءة الأولى : تسهيل الهمزة الثانية كالواو مع الفصل بألف :

ونسبت إلى أبي عمرو ونافع وأبي جعفر وهشام وابن كثير واليزيدي وعباس وخلف وابن سعدان والمسيبى وقالون .

القراءة الثانية :تسهيل الثانية كالواو بلا فصل: وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع وورش ورويس وقالون .

القراءة الثالثة : بالتحقيق مع المد ، ونسبت لهشام .

القراءة الرابعة : تحقيق الهمزتين وهي لباقي القُرَّاء [2].

---

(١) انظر : حجة القراءات صـ ١٥٧ ، ١٥٨ ، والنشر ١ / ٣٧٤ ، والبحر المحيط ٣ / ٥٥ ، وإتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٧١ .

(٢) ينظر : السبعة في القراءات صـ ٥٥٢ ، والكشف ١ / ٧٤ ، والنشر ١ / ٣٧٤ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ٤١٩ .

الآية الثالثة : ﴿ ... أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ... ﴾ .

والقراءة فيها بهمزتين مفتوحة فمضمومة مسهلة كالواو مع المد ، وتنسب إلى نافع والمسيبي وقالون وأبي جعفر [١].

الآية الرابعة : ﴿ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ ... ﴾ .

والقراءة فيها بتسهيل الهمزة الثانية دون وجود ألف بينهما تنسب إلى ابن كثير وأبي عمرو ونافع وورش ورويس وقالون [٢].

وبعد عرض القراءات القرآنية السابقة نذهب إلى كتب الحجة في القراءات لنرى موقف قياس النحاة منها :

أولاً : الحجة لمن قرأ بالفصل بألف بين الهمزتين المحققتين :

" أنه استجفى الجمع بينهما ، ففصل بالمدّة ؛ لأنه كَرِه تليين إحداهما ، صحح اللفظ بينهما " [٣].

ويحدثنا عن ذلك سيبويه بقوله : " ومن العرب ناس يدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفًا إذا التقتا . وذلك أنهم كرهوا التقاء همزتين ففصلوا ، كما قالوا : " اخْشَيْنانِّ " ففصلوا بالألف كراهية التقاء هذه الحروف المضارعة .

---

(١) ينظر : حجة القراءات صـ ٦٤٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٩ / ٧١٨ ، والنشر ١ / ٣٧٦ ، والبحر المحيط ٩ / ٣٦٥ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ٤٥٥ .

(٢) ينظر : النشر ١ / ٣٧٤ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ٥٠٧ .

(٣) الحجة في القراءات السبع صـ ٦٦ .

قال ذو الرُّمَّة :

فيا ظَبيَةَ الوَعْساءِ بَيْنَ جُلاجِلٍ وبَيْنَ النَقا : أاأَنتِ أمْ أُمُّ سالمٍ ؟ [١].

فهؤلاء أهل التحقيق . ومنهم من يقول إن بني تميم هم الذين يُدخلون بين الهمزة وألف الاستفهام ألفًا " [٢].

ثانيًا : الحجة في تحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية (بَيْنَ بَيْنَ) مع عدم إدخال ألف بينهما كما يقول أبو علي الفارسي : " فلم يجمع بين الهمزتين وخفّف الثانية أن يقول : إن العرب قد رفض جمعهما في مواضع من كلامهم . ومن ذلك أنَّهم لما اجتمعتا في آدم وآدر وآخر ، ألزموا جميعًا الثانية البدل ، ولم يحققوا الثانية " [٣].

ثالثـًا : الحجة في تحقيق الأولى وتسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما كما ذكر مكي بن أبي طالب : " أنه لما كانت الهمزة المخففة بزنتها محققة قدّر بقاء الاستثقال على حالة مع التخفيف ،

---

(١) الوعساء : موضع بين الثعلبية والخزيمية . ويقول ياقوت : إنها شقائق رمل متصلة . جلاجل : موضع ويروى بالحاء غير المعجمة . النقاء : الكثيب من الرمل وأراد شدة التقارب بين الظبية والمرأة فاستفهم استفهام شاك مبالغة في التشبيه . آأنت : مبتدأ حذف خبره ، والتقدير آأنت هي . انظر : المقتضب ١ / ٣٠٠ . والبيت لذي الرمة في ديوانه صـ ٦١٢ ، ٦٢٥ .

(٢) الكتاب ٣ / ٥٥١ . وانظر : المقتضب ١ / ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، والحجة للقراء السبعة ١ / ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، وشرح المفصل ٩ / ١١٩ .

(٣) الحجة للقراء السبعة ١ / ٢٧٥ ، ٢٧٦ . وانظر : الحجة في القراءات السبع لابن خالويه .تحقيق . د . عبد العال سالم مكرم صـ ٦٢ – مؤسسة الرسالة – الطبعة الخامسة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

فأدخل بينهما ألفًا ليحول بين الهمزتين بحائل ، يمنع من اجتماعهما " (١). وهي لغة عزاها الأخفش إلى بعض العرب (٢).

رابعًا : تحقيق الأولى وإبدال الثانية ألفًا .

وهذه القراءة كانت محل نظر واختلاف ، حيث توجهت كثير من الأقلام إلى تخطئة هذه القراءة وردّها بحجة أنها لا توافق القاعدة .

فعلى سبيل المثال يذكر الزجاج تلك القراءة بقوله : " ... وكثير من القراء يخفّف إحداهما ، وزعم سيبويه أن الخليل كان يرى تخفيف الهمزة الثانية فيقول : " أأنذرتهم " فيجعل الثانية بين الهمزة والألف ، ولا يجعلها ألفًا خالصةً . ومن جعلها ألفًا خالصةً فقد أخطأ من جهتين :

إحداهما : أنه جمع بين ساكنين .

والأخرى : أنه أبدل من همزة متحركة قبلها حركة ألفًا ، والحركة الفتح ، وإنما حق الهمزة إذا تحركت وانفتح ما قبلها أن تجعل " بَيْنَ بَيْنَ " أعني بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها ، فتقول في سَأَل : سال ، وفي رَءُوف : رَووف ، وفي بئس : بيس " بَيْنَ بَيْنَ " وهذا في الحكم واحد إنما تحكمه المشافهة "(٣).

---

(١) الكشف ١ / ٧٤ .

(٢) معاني القرآن للأخفش . تحقيق . د . فائز فارس ١ / ٢٠١ – الكويت – الطبعة الثانية – ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، وانظر الحجة في علل القراءات السبع ١ / ٢٨٥ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١ / ٧٧ ، ٧٨ .

وكذلك يعترض الزمخشري على تلك القراءة بسؤال يطرحه على نفسه ويجيب عليه فيقول : " فإن قلت: ما تقول فيمن قلب الثانية ألفًا ؟ قلت: هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين : أحدهما : الإقدام على جمع الساكنين على غير حده – وحدّه أن يكون الأول حرف لين والثاني حرفًا مدغمًا نحو قوله : " الضالّين " ، وخويّصة ؛ والثاني: إخطاء طريق التخفيف ؛ لأن طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين ، فأما القلب ألفًا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس " (١).

وكذلك يذكر البيضاوي القراءة بإبدال الهمزة ألفًا فيقول : " وهو لحن لأن المتحركة لا تقلب ، ولأنه يؤدي إلى جمع الساكنين على غير حده " (٢).

ولكن للحق رجال في كل زمان ومكان ، فقد انبرى كثير من أهل اللغة للدفاع عن هذه القراءة ، حيث ذكر أبو حيان أن " ما قاله – أي الزمخشري – هو مذهب البصريين ، وقد أجاز الكوفيون الجمع بين ساكنين على غير الحد الذي أجازه البصريون – وقراءة ورش – أي بإبدال الهمزة الثانية ألفًا – صحيحة النقل ، لا تدفع باختيار المذاهب ، ولكن عادة هذا الرجل إساءة الأدب على أهل الأداء ونقلة القرآن " (٣).

---

(١) الكشاف ١ / ٤٨ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) تحقيق . د. حمزة النشري وآخرين ١ / ٧٤ – ١٤١٨ هـ .

(٣) البحر المحيط ١ / ٤٧ ، ٤٨ .

وُذكِر في كتاب " الفتوحات " بعد أن تَمَّ عرض رأي البيضاوي في تخطئة هذه القراءة : " ورد عليه القارئ بأن ما قاله خطأ . أما الوجه الأول : فلأن قولهم : المتحركة لا تقلب ، محله في القلب القياسي ، وأما السماعي فتقلب فيه المتحركة ، وهو كثير كسَأل [١]سَائِلٌ وكمِنسأتَهُ [٢] . وأما الوجه الثاني : فلأن جمع الساكنين على غير حده إنما هو ممتنع قياسًا ، وأما إذا سمع متواترًا كما هنا فيستشهد به ، ويحتج به فكيف يرد المتواتر من النبي ، وهو أفصح العرب أيضًا ، فجمع الساكنين على غير حده أجازه الكوفيون.

قال ملا على قاري : وأما قول البيضاوي : وقلب الثانية ألفًا لحن فهو خطأ نشأ من تقليده الكشاف ؛ لأن القراءة به متواترة عن النبي فإنكارها كفر . فأما تعليلهم بأن المتحركة لا تقلب ممنوع ؛ لأنها قد تقلب كما ثبت في (مِنْسَأَتَهُ) عند القراء ، ونقل في كلام الفصحاء .

قال الجعبري : وجه البدل المبالغة في التخفيف ، إذ في التسهيل قسط همز . قال قطرب : هي قرشية ، وليست قياسية لكنها كثرت حتى اطردت ، وأما تعليلهم بأنه يؤدى إلى جمع الساكنين على غير حده فمدفوع بأن من يقلبها ألفًا يشبع الألف إشباعًا زائدًا على مقدار الألف حيث يصير المد لازمًا ليكون فاصلاً بين الساكنين ، ويقوم

---

(١) سورة المعارج من الآية (١) . فنافع وابن عامر وأبو جعفر بألف بلا همزة ، بوزن " قال " وهي لغة قريش ، فهو السؤال ، أبدلت همزته على غير قياس عند سيبويه ، والقياس بَيْنَ بَيْنَ . إتحاف فضلاء البشر ٢ / ٥٦٠ .

(٢) فنافع وأبو عمرو وأبو جعفر بألف بعد السين من غير همزة ، لغة الحجاز ، وهذه الألف بدل من الهمزة ، وهو مسموع على غير قياس ، وافقهم اليزيدي والحسن . ينظر : السابق ٢ / ٣٨٤ .

مقام الحركة كما في محياي [١] بإسكان الياء لنافع وصلاً ويسمى هذا حاجزًا . وقد أجمع القراء وأهل العربية على إبدال الهمزة المتحركة الثانية في نحو الآن . ثم اعلم أن موافقة العربية إنما هي شرط لصحة القراءة إذا كانت بطريق الآحاد ، وأما إذا ثبتت متواترة فيستشهد بها لا لها ..." [٢].

ومن العجب في قول الرافضين لهذه القراءة أن القراءة عندهم تعتمد على القاعدة ، فإن وافقتها قُبلَت وإن خالفتها رفضت ، مع أن القاعدة تُطَوع للقراءة وليس العكس ، إضافة إلى أن القراءة بالإبدال لهجة قرشية كما ذكر سيبويه : " واعلم أن الهمزة التي يحقِّق أمثالها أهل التحقيق من بني تميم وأهل الحجاز وتجعل في لغة أهل التخفيف بَيْنَ بَيْنَ تبدل مكانها الألف إذا كان ما قبلها مفتوحاً والياء إذا كان ما قبلها مكسوراً والواو إذا كان ما قبلها مضموما وليس ذا بقياس مُتْلَئبٍّ "[٣].

إضافة إلى أن هذه القراءة قد قرأ بها كثير من قُرَّاء هذه الأمة منهم نافع وأبو عمرو وأبو جعفر واليزيدي والحسن [٤].

---

(١) سورة الأنعام من الآية (١٦٢) .

(٢) الفتوحات الإلهية للجمل ١ / ١٤ ، ١٥ – مطبعة الحلبي .

(٣) الكتاب ٣ / ٥٥٣ ، ٥٥٤ . والمتلئب : المستقيم المستوي ، والمراد المطرد . انظر : الكتاب ٣ /٥٤٤ ، لسان العرب (تلئب) ١ / ٤٣٩ .

(٤) انظر : إتحاف فضلاء البشر ٢ / ٣٨٤ ، ٥٦٠ .

خامسًا : الحجة في إبدال همزة الاستفهام واوًا كما في (أأمنتم) فلكراهة اجتماع همزتين في الأصل وإن كان بينها ألف كما ذكر المؤلِّف ، وكذلك " أنه أشبع ضمة النون ، ، فصارت كلفظ الواو ، وخزل الهمزة الثانية وخلفها بمدّة ، ودلّ بالفتح على سقوط الهمزة المفتوحة " [١].

ويؤكد على ذلك صاحب الكشف بقوله : " أنه قرأ بواو في الوصل ، بدل من الهمزة الأولى ؛ لانضمام ما قبلها ، وهي مفتوحة ، وخفَّف الثانية بَيْنَ بَيْنَ ، إرادة التخفيف ، لأن الأولى تخفيفها عارض ، فكأنها مخفّفة ، فخفّف الثانية ، كما يفعل إذا حقّق الأولى ، على الأصل ، وأبدل من الثانية ألفًا ؛ لأنها ساكنة قبلها فتحة " [٢].

سادسًا : الحجة لمن حقق الهمزتين : " أنه أتى بالكلام محققًا على واجبه ؛ لأن الهمزة الأولى ألف التسوية بلفظ الاستفهام ، والثانية ألف القطع ، وكل واحدة منهما داخلة لمعنى " [٣].

" فمن حجة من حقَّقَهما أن يقول : إن الهمزة حَرف من حروف الحلق ، فكما اجتمع المثْل مع مثله مع سائر حروف الحلق ؛ نحو فهً وفههت وكعّ وكععت ، كذلك حكم الهمزة . ومما يجوّز ذلك

(١) الحجة في القراءات السبع صـ ١٦٢ . وانظر : البحر المحيط ٤ / ٣٦٥ ، والنشر ١ / ٣٦٩ .
(٢) الكشف ١ / ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
(٣) الحجة في القراءات السبع صـ ٦٦ .

ويسوِّغه أن سيبويه زعم أن ابن أبي إسحاق كان يحقق الهمزتين وأناس معه . قال سيبويه : وقد تتكلم ببعضه العرب وهو رديء "[1].

والقراءات الست من فصيح كلام العرب كما ذكر ابن خالويه[2] ، واستشهد عليها المؤلِّف ببعض الأبيات الشعرية .

وأخيرًا يكون السؤال : هل وافق قياس النحاة القراءات الست أم لا ؟

والجواب : أن قياس النحاة قد جاء موافقًا للقراءات الست عدا القراءة بالإبدال ألفًا كما سبق ، حيث يقول الرضى عن تخفيف الهمزتين المتحركتين في كلمة : " فإن تحركتا قلبت الثانية وجوبًا ، ثم إن كانت الثانية لامًا قلبت ياء مطلقًا ، بأي حركة تحركتا ، لأن الآخر محل التخفيف ، والياء أخف من الواو ... وإن لم تكن الثانية لامًا ، فإن كانت مكسورة قلبت ياء أيضًا ، بأي حركة تحركت الأولى ... "[3].

ثم يعقب على ذلك بقوله : " وجاء في الهمزتين المتحركتين في كلمة وجهان آخران : أحدهما ما ذكره أبو زيد عن بعض العرب أنهم يحققون الهمزتين معًا ، قال : سمعت من يقول : اللهم اغفر لي خطائىء ... وقرأ جماعة من القراء – وهم أهل الكوفة وابن عامر – (أئمة) بهمزتين[4] ، وثانيهما : تخفيف الثانية كتخفيف الهمزة

---

(١) الحجة في علل القراءات السبع ١ /٢٧٤ .

(٢) انظر : الحجة في القراءات السبع صـ ٦٦ .

(٣) شرح الرضى على شافية ابن الحاجب ٣ / ٥٥ ، ٥٦ .

(٤) انظر : النشر ١ / ٣٧٨ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ٨٧ .

المتحركة المتحرك ما قبلها إذا لم يكن همزة سواء ، فيقول في " أئمة " : " أيمة " ، ويجعلها بين الهمزة والياء[1] كما في سَئم ، وكذا في نحو أَؤُمُّك ، وغير ذلك . وفي هذين الوجهين – أعني تحقيقهما وتسهيل الثانية – زاد بعضهم ألفًا بين الأولى والثانية ، إذا كانت الأولى مبتدأ بها ؛ لكراهة اجتماع الهمزتين أو شبه الهمزتين في أول الكلمة ، واجتماع المثلين في أول الكلمة مكروه ، ألا ترى إلى قولهم : أَوَاصل وأُوَيْصِل ؟ وإذا اجتمع في كلمة همزتان بينهما ألف لا تقلب واحدة منهما اعتدادًا بالفاصل ، ألا ترى إلى مذهب من أراد الجمع بينهما بلا تخفيف كيف يزيد بعضهم ألف الفصل ، فيقول : أائِمَّة ، حتى لا يكون اجتماع همزتين ، فكيف لا يعتد بالألف الموجودة فاصلاً " [٢].

وأما عن القراءة بإبدال همزة (أأمنتم) الأولى واوًا ومخالفتها للقياس ، فإن النحاة لم يتعرضوا لحالة الوصل هذه ، وهي حالة خاصة بالضرورة [٣].

---

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر ورويس وورش.انظر : النشر ١ / ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ٨٧ .

(٢) شرح الرضى على شافية ابن الحاجب ٣ / ٥٨ .

(٣)سورة البقرة دراسة صوتية دلالية . د . على سعد عبد الحميد الخولي صـ ١٦١ (رسالة دكتوراه) ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

ثالثا : اجتماع الهمزتين في كلمتين .

إذا التقت الهمزتان بأن كانت أولاهما آخر كلمة والثانية أول كلمة أخرى فذلك يأتي على ضربين : أحدهما : أن يتفقا في الفتح أو الكسر أو الضم . والآخر : أن لا يتفقا في شيء من ذلك بل يختلفان فيه [1].

والاختلاف بين حركتي الهمزة الأولى والثانية هو ما نص عليه صاحب " رصف المباني " بعد ذكر تسهيل الهمزة المضمومة بنسبة حركتها التي هي الضمة عند التقاء الهمزتين في كلمة واحدة الأولى مفتوحة والثانية مضمومة ، فيقول في باب " الواو المفردة " : " وكذلك حكم المكسورة إذا كان قبلها ضمة في همزة أخرى قبلها من كلمة أخرى ، ولأنها أصلية فليست من الباب ، لأنَّ كلامنا في الحروف التي جاءت لمعنى نحو : " السفهاءُ وِلا " في : السفهاءُ إلى ، " والشهداءِ وذا " في : الشهداءُ إذا ، وهو كثير " [2].

التعليق :

اختلف العلماء في تخفيف الهمزة الثانية إذا كانت الأولى مضمومة وبعدها همزة مكسورة في كلمة أخرى نحو : ولا يأب الشهداءُ إذا . فذهب بعضهم إلى أنها تبدل واوًا خالصة مكسورة ، وهو مذهب جمهور القراء من أئمة الأمصار قديمًا ، وذهب بعضهم إلى أنها

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للشاطبي . تحقيق . د . إبراهيم عطوة عوض صـ ١٤٠ – مطبعة البابي الحلبي – ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م .

(٢) رصف المباني صـ ٤٣٩ .

تجعل بَيْنَ بَيْنَ ، أي بين الهمزة والياء ، وهو مذهب أئمة النحو كالخليل وسيبويه ، ومذهب جمهور القراء حديثًا [١].

إذًا فإبدال الهمزة الثانية واوًا ، وتسهيلها " بَيْنَ بَيْنَ " وجهان جائزان عند قُرَّاء القرآن الكريم ، اقتصر المؤلِّف منهما على القول بالتسهيل .

وهو قياس أئمة النحو كالخليل وسيبويه كما ذكر ابن الجزري قال أبو علي في التكملة : " وإن كانت الهمزتان من كلمتين فإن أهل التحقيق يخفِّفون إحداهما ، فمنهم من يُخَفِّفُ الأولى ويحقِّق الثانية ... ومنهم من يحقِّق الأولى ويخفِّف الثانية وهو الذي يختاره الخليل ، ويحتجُّ بأن التخفيف وقع على الثانية إذا كانت في كلمة واحدة نحو " آدَمَ وآخَرَ " وكذلك إذا كانتا من كلمتين " [٢].

ثم يذكر الرضى المذاهب المختلفة في القياس عند التقاء الهمزتين فيقول : " فإن كانتا متحركتين ، فمنهم من يخفِّف الأولى دون الثانية ؛ لكونها آخر الكلمة ، والأواخر محل التغيير ، وهو قول أبي عمرو ، ومنهم من يخفف الثانية دون الأولى ، لأن الاستثقال منه جاء ، كما فعلوا في الهمزتين في كلمة ، وهو قول الخليل ... ومن خفَّف الثانية وحدها كانت كالهمزة المتحركة بعد متحرك ... فيجيء في " يشاءُ إلى " المذاهب الثلاثة في الثانية : بَيْنَ بَيْنَ المشهور ، والبعيد ، وقلبها واوًا " [٣].

---

(١) انظر : النشر ١ / ٣٨٩ .

(٢) التكملة لأبي علي الفارسي صـ ٢٢٠ ،٢٢١ .

(٣) شرح الرضى على شافية ابن الحاجب ٣ / ٦٥ . وانظر : شرح المفصل ٩ / ١١٢ .


المبحث الثاني
الإبدال



الإبدال

ظهر الإبدال على الساحة اللغوية كقاسم مشترك بين الصرفيين واللغويين ، فاقتصر ذكره في لغة أهل الصرف قياسًا على تسعة من حروف العربية جمعت في قولهم : " هدأت موطيًا " [١] بينما تعدى هذه الحدود في اصطلاح اللغويين سماعًا فاشتمل على جميع أصوات العربية بفرعيها معًا – الصوامت والحركات – فعُرِف عندهم بأنه " جعل حرف بدل حرف آخر من الكلمة الواحدة وفي موضعه منها لعلاقة بين الحرفين أو حركة مكان أخرى . أو هو تغير صوت إلى آخر من الكلمة الواحدة وفي موضعه منها لعلاقة بين الصوتين بتأثير البيئة اللغوية المحيطة " [٢] .

ومن هنا " لا يكون الإبدال إبدالاً حقًّا إلا إذا كان بين البدل والمبدل منه علاقة صوتية كقرب المخرج ، أو الاشتراك في بعض الصفات الصوتية كالجهر والهمس ، والشدة والرخاوة " [٣] .

---

(١) انظر: سر صناعة الإعراب . تحقيق . مصطفى السقا وآخرين ١ / ٢٨٣ – مطبعة الحلبي – الطبعة الأولى – ١٣٧٤هـ – ١٩٥٤م ، وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري ٣٦٧/٢ – دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابى الحلبي ، وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢٨٠/٤ – دار إحياء الكتب العربية – مطبعة الحلبي .

(٢) قضايا ونظرات في فقه اللغة العربية.د. إبراهيم محمد أبو سكين صـ ٥٠ – الطبعة الثانية ١٩٩٦/ ١٩٩٧م . وانظر : اللهجات العربية . د. محمد إبراهيم نجا صـ ٧١ – مطبعة السعادة – ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م ، والاشتقاق . عبد الله أمين صـ ٣٣٣ – مكتبة الخانجي بالقاهرة – الطبعة الثانية – ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م ، واللهجات العربية نشأة وتطوراً د. عبد الغفار حامد هلال صـ١٢٠ – مكتبة وهبة – الطبعة الثانية ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

(٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د. عبد الصبور شاهين صـ٧٣ – مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٦٦م .

وإذا كانت آراء العلماء قد تعددت واختلفت حول معرفة السر الحقيقي وراء نشأة الإبدال في العربية بين كثرة التصرف والاستعمال كما ذهب ابن جني [١] ، أو التطور الصوتي كما ذهب الدكتور / إبراهيم أنيس [٢] ، فإن أرجح الأقوال عندي هو أن اختلاف اللهجات العربية هي المصدر الأصيل لذلك كما ذهب أبو الطيب اللغوي ، حيث يقول : " ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف ، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة ، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد ، حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد . قال : والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورًا مهموزة وطورًا غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة ، وبالسين أخرى ، وكذلك إبدال لام التعريف ميمًا ؛ والهمزة المصدر عيناً ؛ كقولهم في أن عن ، لا تشترك العرب في شيء من ذلك ، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون " [٣] .

---

(١) انظر : الخصائص ٨٤/٢ : ٨٦ . ويوافقه في هذا الرأي ابن سيده وابن يعيش . انظر : المخصص لابن سيده ٩٤/١ وما بعدها – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ، وشرح المفصل ٧/١ وما بعدها .

(٢) انظر : من أسرارا اللغة صـ ٧٥– مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة السادسة ١٩٧٨م . وقد تم مناقشة هذه الآراء باستفاضة في كتاب : الإبدال اللغوي بين الصوامت في القراءات القرآنية . د . عادل محمد حسن صـ ١٠ : ١٦– الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

(٣) المزهر في علوم اللغة للسيوطي . تحقيق . محمد جاد المولي وزميليه ٤٦٠/١– دار التراث – الطبعة الثالثة د. ت . وقد أيده في هذا الاتجاه كثير من المحدثين . انظر : فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي صـ ١٨٥– دار نهضة مصر ، والتطور اللغوي التاريخي د. إبراهيم السامرائي صـ ١١٢، ١١٥– دار الأندلس – الطبعة الثالثة ١٩٨٣م .

الإبدال في رصف المباني

تحقَّقت قضية الإبدال في هذا الكتاب من خلال خمس صور بيانها كالتالي :

الصورة الأولى : الإبدال بين الهمزة والهاء

من خلال أربعة نصوص في مواضع متفرقة من الكتاب أشار المؤلِّف إلى صورة الإبدال بين صوتي الهمزة والهاء ، وفيما يلي عرض ذلك :

النص الأول :

في باب " الهمزة المفردة " ذكر المؤلِّف " لَهِنَّك " أصله : " لَإِنَّك " ، وأبدلت الهمزة هاءً ، كما قالوا : هَرحتُ الماشية وإياك في : أرحتُ الماشية وإياك "[1] .

النص الثاني :

في باب (ألاَّ المفتوحة المشددة) يقول المؤلِّف : " وتبدل همزتها هاء ، فيقال : هَلاَّ تقوم ، هَلاَّ تقعد ، هَلاَّ تضرب زيداً ، ولا تنعكس القضية فتقول : إن الهمزة بدل من الهاء ؛ لأن بدل الهاء من الهمزة أكثر من بدل الهمزة من الهاء ، لأنها لم تُبْدل إلا في : ماء وأمواه ، والأصل : ماه وأمواه .

---

(١) رصف المباني صـ ٤٤ .

قال الشاعر :

وَبِـلْدَةٍ قالِصَةٍ أمْواؤُها (1) .

وفي " أهل " قالوا : أآل ، والأصل : أأل ، فسَّهلوا الهمزة ، على خلاف في ذلك ،والهاءُ قد أبدلت من الهمزة في إياك ، فقالوا هيَّاك ، وفي أرَحْتُ الماشية قالوا : هَرَحْتُ ، وفي أرَقْتُ الماء قالوا : هَرَقْتُ ، وفي أشياء غير هذه وإن كانت مسموعة ، وهي أكثر من المبدل هاؤه همزة فالحمل على الأكثر أولى " (2) .

النص الثالث :

في " باب هَلاَّ " يقول المؤلِّف :" اعلم أنَّ " هَلاَّ " حرف تحضيض كـ " ألاَّ " المتقدمة الذكر في باب الهمزة المركبة ، وهاؤها يُحتمل أن تكون بدلاً من الهمزة فيكون الأصل : " ألاَّ " كما قالوا : أرَحْتُ ، وهَرَحْتُ ، ويُحتمل أن تكون أصلاً بنفسها ، وهو الأولى لكثرة استعمالها أكثر من " ألاَّ " ولا يُدَّعى أن الهمزة بدل من الهاء لقلة وجود بدل الهمزة من الهاء "(3) .

---

(1) وانظر : المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني .تحقيق .إبراهيم مصطفى ، عبد الله أمين ٢ / ١٥١ . إدارة الثقافة العامة – الطبعة الأولى – ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م ، وشرح المفصل ١٠/١٥، وأمواؤها : جمع ماء ، وقلص الماء : كثر وقل من الأضداد ، والمراد الأول . مصح الظل : ذهب . رأد الضحى : رونقه أو هو بعد ارتفاع النهار وهو في سر صناعة الإعراب ٩٩/١. وبعده :

ما صِحَةٍ رَأْدَ الضُّحى أفْيَاؤُها .

(2) رصف المباني صـ ٨٤ ، ٨٥ .

(3) السابق صـ ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

النص الرابع :

يقول المؤلِّف " في باب هَيا " : " واختُلف : هل الهاء فيها بدل من همزة " أيا " وهو قول الأكثرين (١) ، أو هو حرف قائم بنفسه ، والأول أكثر لكثرة بدل الهاء من الهمزة كما قالوا : أَرَحْتُ وهَرَحْتُ وهَرَقْتُ ، وأَرَقْتُ ، وأنشد الأصمعي :

وَانصَرَفَتْ وَهيَ حَصَاةٌ مُغْضَبَهْ

وَرَفَّعَتْ من صَوْتِها هَيا أَبَهْ

كُلُّ فَتَاةٍ بِـأَبِـيها مُعْجَبَهْ ... (٢) ".

التعليق :

من خلال ثلاثة ألفاظ ظهرت صورة الإبدال بين صوتي الهمزة والهاء في النصوص السابقة وهي :

أ- لَهِنَّك   ب- هَلاَّ   جـ- هَيا

واحتجَّ المؤلِّف على تحقيق الإبدال في هذه الألفاظ بالقياس على ألفاظ كثر ورودها في هذا الباب وهي : هرحت وهرقت وإياك ، وأشياء غير هذه وإن كانت مسموعة كما ذكر ، والأصل الهمزة في جميع هذه الألفاظ كما ذكر المؤلِّف " لأن بدل الهاء من الهمزة أكثر

---

(١) نسبه صاحب الجني الداني إلى ابن السكيت وابن الخشاب ص ٥٠٧ .

(٢) رصف المباني ص ٤٠٩ . والبيت في خزانة الأدب . البغدادي ٢/٢٣٧- مطبوعة مصر - بولاق ١٢٩٩هـ .

وقد نسب فيه إلى الأغلب العجلي وروايته فيه :

ثُمَّ انثَنَتْ بِهِ فُوَيقَ الرَّقَبَهْ   فَأَعْلَنَتْ بِصَوْتِها أنْ يا أبه .

من بدل الهمزة من الهاء ... وهي أكثر من المبدل هاؤه همزة فالحمل على الأكثر أولى " (١) .

وإبدال الهمزة من الهاء في هذه الألفاظ واقع لا محالة كما أشار علماء اللغة ، حيث ذكر الجوهري في باب (لهن) : " وقولهم لَهِنَّك – بفتح اللام وكسر الهاء – كلمة تستعمل عند التوكيد ، وأصلها لإنَّك ، فأبدلت الهمزة هاء كما قالوا في إيَّاك : هِيَّاك ، وإنما جاز أن تجمع بين اللام وإنَّ وكلاهما للتوكيد ، لأنه لما أُبدلت الهمزة هاء زال لفظ إنَّ فصار كأنها شيء آخر " (٢) .

ويقول في باب (ها) : " وقد تكون الهاء بدلاً من الهمزة ، مثل هَرَاق وأراق " (٣) .

وفي باب (هيا) يذكر الجوهري أيضاً أنها " من حروف النداء ، وأصلها أيَا ، مثل هَرَاق وأراق " (٤) .

والإبدال بين الهمزة والهاء له ما يبرره من الناحية الصوتية ، فمن الناحية المخرجية كلاهما من أسفل الحلق وأقصاه كما يرى

---

(١) رصف المباني ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري . تحقيق . أحمد عبد الغفور عطار ٢١٩٧/٦– دار العلم للملايين – الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م . وانظر : لسان العرب ٤٠٨٩/٥ .

(٣) الصحاح ٢٥٥٩/٦ .

(٤) السابق ٢٥٦٢/٦ . وانظر : لسان العرب ٤٧٧٢/٦ ، ٤٧٧٣ .

القدامى [1] ، ومن الحنجرة كما يرى المحدثون[2] ، وهو اختلاف في المصطلحات ليس إلاَّ ، " فعند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقاً تامّاً فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق ، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجاري هو ما نعبر عنه بالهمزة " [3] .

ويحدث صوت الهاء " عندما يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق صوت صائت (كالفتحة مثلاً) ، ويمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين بالحنجرة محدثاً صوتاً احتكاكيّاً ، يرفع الحنك اللين ولا يتذبذب الوتران الصوتيان " [4] .

فالالتقاء المخرجي واضح تماماً بين صوتي الهمزة والهاء ، حيث يقول الخليل :" الهاء صوت مهتوت في أقصى الحلق يصير همزة ،

---

(١) انظر : العين للخليل بن أحمد الفراهيدي . تحقيق د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ٥٨/١ – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٩م ، والكتاب ٤٣١/٤ ، والمقتضب ٣٢٨/١ ، وسر صناعة الإعراب ٥٢/١ ، والرعاية . مكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق .د . أحمد حسن صـ ١١٩ – دار الكتب العربية ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م ، وشرح المفصل ١٠٧/٩ ، والنشر ١٩٩/١ . وأيدهم في ذلك بعض المحدثين . انظر : فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي صـ ١٦٧ ، ودراسات في فقه اللغة د. صبحي الصالح صـ ٢٧٨ – دار العلم للملايين – الطبعة الحادية عشرة – ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م .

(٢) انظر : الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ ٨٩ ، ٩٠ ، ومناهج البحث في اللغة د. تمام حسان صـ ١٢٥ – طبعة دار الثقافة – الدار البيضاء – المغرب – ١٤٠٠هـ – ١٩٧٩م ، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي – د. محمود السعران صـ ١٧٥ – دار الفكر العربي – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ، ودراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر صـ ١١٨ – عالم الكتب ١٤١١هـ – ١٩٩١م ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ ١١٢ – دار المعارف بمصر ١٩٦٩م .

(٣) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ ٨٩ ، ٩٠ .

(٤) علم اللغة د. محمود السعران صـ ١٧٨ ، ١٧٩ .

فإذا رُفِّه عن الهمز ، كان نَفَساً يُحَوَّل إلى مخرج الهاء ، فلذلك استخفَّت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة ، نحو " أراق وهراق " وأيهات وهيهات . وأشباه ذلك كثير "(١) .

إذًا فالحنجرة هي الموضع الجامع للتكوين المخرجي لصوتي الهمزة والهاء ، إضافة إلى الاشتراك في كثير من الصفات الصوتية وهي : الانفتاح والاستفال والإصمات (٢) .

وربما كان هذا الاشتراك عاملاً رئيساً في تسويغ وقوع الإبدال بينهما .

الصورة الثانية : الإبدال بين الهمزة والعين

النص :

في (باب عن) ذكر المؤلِّف : " الموضع الثاني : أن تكون بمعنى " أنْ " وهي لغة لبني تميم ، يقولون في أعجبني أن تقوم : " أعجبني عن تقوم " . وكذلك قال بعضهم : إنَّ تميماً انفردوا بالعنعنة ، يعني أنها تقول في موضع " أنْ " : عَنْ .

وعلى ذلك أنشدوا بيت ذي الرُّمَّة :

أَعَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزِلَةً
مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ

---

(١) انظر : لسان العرب (هتت) ٦/٤٦١٠ .

(٢) ولكن يبدو الاختلاف بينهما من ناحية أن الهمزة صوت شديد مجهور على أرجع الأقوال عندي ، بينما يتصف صوت الهاء بالهمس والرخاوة . وانظر الخلاف بين العلماء في وصف الهمزة بين الجهر والهمس ومناقشة هذه الآراء في كتاب: الإبدال اللغوي بين الصوامت في القراءات القرآنية ص ٤٠: ٤٢ .

أراد : أنْ توسَّمت ، وقال آخر [١] : أعن تغنَّت على ساق مُطَوَّقة..

أراد : "أن" كما ذكر ، ولا يفعلون ذلك في غير "أنْ" فاعلمه [٢] .

التعليق :

ظهـــر مصـــطلح " العنعـــنة " في المصـــنَّفات قـــديماً في " بـاب اللغات المذمـومة " تعبيراً عن إبدال الهمزة عيناً عند بعض القبائل العربية .

والاختلاف في نسبة تلك الظاهرة ينحصر بين ثلاثة آراء :

الرأي الأول : لهجة تميم

وقد ذهب أكثر العلماء إلى تأييد هذا الاتجاه ومنهم :

أ – الخليل بن أحمد ، حيث يقول :" أما تميم فإنهم يجعلون بدل الهمزة العين ، قال شاعرهم :

إن الفؤاد على الذلفاء قد كمدا

وحبها موشك عَنْ يصدع الكبدا " [٣] .

ويقول : " الخَبْعُ : الخَبْءُ في لغة تميم ، يجعلون بدل الهمزة عيناً " [٤] .

---

(١) البيت لابن هَرْمَة ، وهو في ديوانه صـ ١٠٥ ، وعجزه : *ورقاء تدعو هديلاً فوق أعوادِ* .

وهو في الخصائص ١١/٢ ، وسر صناعة الإعراب ٢٣٥/١ . والهديل : ذكَر الحمام .

(٢) رصف المباني صـ ٣٧٠ .

(٣) العين ١٠٤/١ .

(٤) السابق ١٢٣/١ .

ب- الأزهري ، حيث ذُكِر عنه في لسان العرب : " وعنفوان : فعلوان من العنف ضد الرفق ، قال : ويجوز أن يكون الأصل فيه أنفوان ، من ائتنفت الشيء واستأنفته : إذا اقتبلته فأقبل إذا ابتدأته ، فقلبت الهمزة عيناً فقيل عنفوان ، قال : وسمعت بعض تميم يقولون : اعتنفت الأمر بمعنى ائتنفته "[١]

جـ- ابن فارس ، حيث ذكر في (باب اللغات المذمومة) : " أما العنعنة التي تذكر عن تميم - فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عيناً ، يقولون : (سمعت عَنَّ فلاناً قال كذا) يريدون (أنَّ) ..."[٢] .

د - ابن جني ، حيث يقول : " فأما عنعنة تميم فإن تميماً تقول في موضع أن : عن ، تقول : عَنَّ عبد الله قائم ... "[٣] .

هـ- الثعالبي ، حيث يقول : " العنعنة : تعرض في لغة تميم ، وهي إبدال العين من الهمزة كقولهم : ظننت عَنَّك ذاهب ، أي أنَّك ذاهب ... "[٤] .

---

(١) لسان العرب (عنف) ٣١٣٣/٤ .

(٢) الصاحبي لابن فارس . تحقيق . السيد أحمد صقر صـ ٣٤- مطبعة الحلبي - دار إحياء الكتب العربية .

(٣) الخصائص ١٣/٢ . وانظر : سر صناعة الإعراب ٢٠٦/١ .

(٤) فقه اللغة للثعالبي تحقيق د. جمال طلبة صـ ١٤٦- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

الرأي الثاني : لهجة قيس وتميم

والسيوطي هو رائد هذا الاتجاه ، حيث يقول في " الباب الحادي عشر : معرفة الرديء المذموم من اللغات " : " ومن ذلك : العنعنة ؛ وهي في كثير من العرب في لغة قيس وتميم ؛ تجعل الهمزة المبدوء بها عيناً ، فيقولون في أنَّك : عَنَّك ، وفي أسْلم : عَسْلم وفي أذُن عُذُن " [1]

الرأي الثالث : لهجة تميم وقيس أسد

وقد أثر هذا الرأي عن الفراء ، حيث ذُكِر عنه لسان العرب : " قال الفراء : لغة قريش ومن جاورهم " أنَّ " وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف أَنَّ إذا كانت مفتوحة عيناً ، يقولون : أشهد عنك رسول الله ، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف " [٢] .

إذاً فالعنعنة تنسب لقبيلة تميم كما هو رأي أكثر العلماء ، وليست خاصة بهمزة " أنَّ " المفتوح الهمزة كما توهم بعض العلماء ومنهم المؤلِّف بدليل ما أثر عن الخليل والسيوطي سابقاً ، إضافة إلى ما ذكره أهل اللغة في هذا الميدان ، حيث يقول أبو الطيب اللغوي عن " الأصمعي : يقال آديته على كذا وكذا وأعديته : أي قَوَّيْتُه ، وأعنته ، ويقال : استَأديت الأميَر على فلان في معنى استعديت ... والعرب تقول : موت زُعَاف وزُؤَاف ، وذُعاف وذُؤاب : وهو الذي يُعَجِّل

(١) المزهر ١/٢٢١ ، ٢٢٢ .

(٢) لسان العرب (عنن) ٣١٤٣/٤ . الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

القتل ... ويقال : لأَطَـهَ بِعَـيْـن ولأطَـهُ بسهم ولَعَطَـه : إذا أصابه بـه ؛ أبـو زيـد يقال : صَبَأْت على القوم أَصْبَأ صَبْأً ، وصَبَعْتُ عليهم أصْبَع صَبْعًا وهما واحد : وهو أن تُدْخِلَ عليهم غيرهم ... "[1] .

وربما يعود السبب في حصر بعض العلماء ظاهرة " العنعنة " بأنَّ المفتوح الهمزة – كما يقول الدكتور / إبراهيم أنيس : " ليس له من سبب ، سوى أن استقراء الرواة لأمثلة هذه الظاهرة الصوتية كان ناقصاً ، وأن الأمر في كل رواية ، لا يعدو أن يكون حكمًا خاصًا ، مبنيًا على مثال خاص ، سمعه الراوي دون استقراء لباقي الحالات ، فاشتراط البدء بالهمزة ، أو أن تكون في " أن " مفتوحة ، ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية "[٢] .

والعلاقة الصوتية تبدو واضحة بين صوتي الهمزة والعين من الناحية المخرجية ، فأقصى الحلق هو مخرج الهمزة كما يرى القدامى أو الحنجرة كما يرى المحدثون ، بينما يمثل وسط الحلق مخرج صوت العين[٣] ، فعند النطق به " يصعد الهواء من الرئتين مارّاً بالقصبة الهوائية فالحنجرة فتنقبض فتحة المزمار ويضيق مجرى الهواء ويقترب الوتران الصوتيان من بعضهما فيهتزان فأقصى الحلق حتى إذا

---

(١) انظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي . تحقيق . عز الدين التنوخي ٥٥٢/٢ : ٥٥٨ – دمشق ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م .

(٢) في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس ص ١١٠ .

(٣) انظر : الكتاب ٤٣٣/٤ ، وسر صناعة الإعراب ٥٢/١ .

وصل إلى وسط الحلق ضاق الممر الصوتي وتسرب الهواء تسربًا ضعيفًا مكوناً صوت العين "[1] .

فالتقارب المخرجي واضح بين صوتي الهمزة والعين ، إضافة إلى الاشتراك في كثير من الصفات الصوتية وهي : الجهر والانفتاح والاستفال والإصمات .

فالعين أخت الهمزة كما أشار ابن جني في " تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني " : ومنه : " العَسَفُ والأسَفُ " والعين أخت الهمزة ، كما أن الأَسْفُ يَعْسِفُ النفس وينال منها ... فقد نرى تصاقب الألفاظ لتصاقب المعنيين "[2] .

والسر في إبدال الهمزة عيناً هو المبالغة في إظهارها وتحقيقها ، وقد كان هذا من خصائص النطق عند البدو الذين يميلون بطبيعتهم إلى الأصوات الواضحة في السمع ... وإنما اختاروا العين دون غيرها من الأصوات لنصاعتها (أي شدة وضوحها) ، ولأنها أقرب أصوات الحلق المجهورة إلى الهمزة ، ولهذا الخصوصية في العين نجد العلماء إذا أرادوا أن يمتحنوا الهمزة في كلمة أعادوا صيغتها مع

---

(١) علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د. إبراهيم محمد أبو سكين صـ ١٢١ – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م . وانظر : الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ ٨٨ ، وعلم اللغة د. محمود السعران صـ ١٧٨ ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(٢) الخصائص ١٤٨/٢ .

إبدال الهمزة عيناً ، كأن يقولوا مثلاً : أخطأ على مثال أخطع ، وخطيئة على مثال خطيعة [1] .

الصورة الثالثة : الإبدال بين اللام والميم

النص :

١-في (باب الميم) ذكر المؤلِّف " الموضع الثالث : أن تكون بدلاً من لام التعريف ، ولم يأت ذلك فيما أعلم إلاَّ ما رُوي عن النمرين تَوْلب قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : " ليس من أم بر أم صيامُ في أم سفر " [2] المعنى : ليس من البر الصيام في السفر . قال بعض المحدِّثين : لم يرو النَمرُ بنُ تولبٍ عن النبي (ﷺ) غير هذا الحديث فهو من الشذوذ بحيث لا يُقاس عليه " [3] .

التعليق :

استشهد المؤلِّف على إبدال لام التعريف ميماً بحديث النبي (ﷺ) بدون نسبة هذا الإبدال مع شهرته .

والمعروف عند أهل اللغة أن " طُمْطُمَانية حمير " على أرجح الأقوال تمثل عنوان هذا الإبدال ، حيث ذكر في لسان العرب : " قال شَمِر : سمعت حِمْيَرِيَّة فصيحة سألتها عن بلادها ، فقالت : النَّخْلُ

---

(١) خصائص لهجتي تميم وقيس د. الموافي الرفاعي البيلي صـ ٦٨- مطبعة السعادة - الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٢) أخرجه البخاري في" كتاب الصوم " باب قول النبي (ﷺ) لمن ظُلِّلَ عليه وأشتد الحر : " ليس من البر الصَّوْم في السفر " . فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٢ / ٢٤٤ - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ - ١٩٨٨م .

(٣) رصف المباني ص ٣٧٠ . وانظر : ص ٩٦ .

قُلُّ ، ولكن عِيشَتُنا امْقَمْعُ امْفِرْسِكُ امْعِنَبُ امْحَماط ، طُوب ، أي طَيِّب ، فقلت لها : ما الفِرْسك ؟ فقالت : هو امْتِينُ عندكم "[1] .

وذكر الثعالبي أن " الطُّمْطُمانية : تَعْرِض في لغَة حِمْير ؛ كقولهم : طاب أَمْهَوَاء : أي طاب الهواء "[2].

وقد ذُكِرَ لهذا الإبدال بعض النماذج مَنها : " قال ابن الأعرابي : وقول سيف بن ذي يَزَن حين قاتل الحبشة :

قَدْ عَلِمَتْ ذاتُ امْنِطَعْ

أَنِّي إذا امُوْتُ كَنَعْ

أَضْرِبُهُمْ بِذا امْقَلَعْ

لا أَتَوَقَّي بامْجَزَعْ

اقترِبُوا قِرْفَ امقِمَعْ

أراد ذات النِّطع ، وإذا الموت كنع ، وبِذا القَلَع ، فأبدل من لام التعريف ميماً "[3] .

(١) لسان العرب (فرسك) ٣٣٨١/٥ .

(٢) المزهر ٢٢٣/١ . وانظر : فقه اللغة للثعالبي صـ ١٧٣ . في حين ذكر ابن يعيش أنها لغة طائية . انظر : شرح المفصل ٢٤/١ .

(٣) لسان العرب (قمع) ٣٧٤٠/٥ .

والعلاقة الصوتية بين صوتي اللام والميم تبدو بعيدة الملامح من الناحية المخرجية ، فصوت اللام يخرج من حافة السان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، مما فويق الضاحك ، والناب ، والرباعية ، والثنية ، وصوت الميم يخرج مما بين الشفتين (١) .

فكما ذكر المحدثون يتكون صوت اللام " بان يمر الهواء بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق وعلى جانبي الفم في مجرى ضيق يحدث فيه الهواء نوعاً ضعيفاً من الحفيف . وفي أثناء مرور الهواء من أحد جانبي الفم أو من كليهما ، يتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ، وبذلك يحال بين الهواء ومروره من وسط الفم فيتسرب من جانبيه (٢) .

فيسمى صوت اللام بالصوت المنحرف ؛ لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت ، وتتجافى ناحيتاً مُسْتَدق اللسان عند اعتراضها على الصوت ، فيخرج الصوت من تينك الناحيتين ومما فُوَيْقهما (٣) .

وأما عن صوت الميم " فيحبس الهواء حبساً تامّاً في الفم بأن تنطبق الشفتان انطباقاً تامّاً : يُخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء

---

(١) سر صناع الإعراب ٥٢/١ . وانظر : الكتاب ٤٣٣/٤ ، والمقتضب ٣٢٩/١ .
(٢) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ٦٤ . وانظر : علم اللغة د. محمود السعران ص ١٦٩، وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر ص ١٢٩ ، ١٣٠ .
(٣) سر صناعة الإعراب ٧٢/١ .

الخارج من الرئتين بسبب الضغط من النفوذ عن طريق الأنف ، يتخذ اللسان وضعًا محايدًا ، يتذبذب الوتران الصوتيان "[1] .

ولكن بالرغم من هذا التباعد المخرجي بينهما إلا أنه ربما يعود تسويغ وقوع الإبدال بينهما كما قال الدكتور / رمضان عبد التواب : " والتفسير الصوتي لهذه الظاهرة ، هو أن اللام والميم من فصيلة واحدة ، وهي فصيلة الأصوات المتوسطة أو المائعة وهي مجموعة : " اللام ، والميم ، والنون ، والراء " وهذه الأصوات يبدل بعضها من بعض كثيراً في اللغات السامية "[2] .

إضافة إلى طبيعة الاشتراك بينهما في كثير من الصفات الصوتية الأخرى وهي صفات الجهر والانفتاح والاستفال والذلاقة[3] مما ظهر له أثره في هذا الإبدال .

ونظراً لهذا الاشتراك فقد وقع بينهما التبادل في كثير من كلمات العربية ، حيث أفرد لهما أبو الطيب اللغوي بابًا عظيمًا في كتاب الإبدال ، أورد فيه كثيراً من الكلمات التي وقع فيه هذا التعاقب .

---

(١) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص. وانظر : علم اللغة . د. محمود السعران صـ ١٦٩ ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ ١٣٠ .

(٢) فصول في فقه العربية صـ ١٢٨ .

(٣) انظر : الكتاب ٤٣٤/٤ ، ٤٣٦ ، وسر صناعة الإعراب ٦٩/١ : ٧٤ .

الصورة الرابعة : الإبدال بين الميم والنون :

النص :

في " باب لن " يقول المؤلِّف : " واعلم أ ن من العرب من يجزم بـ " لن " تشبيهًا لها بـ " لم " لأنها للنفي مثلها ، وأن النون أخت الميم في اللغة ، ولذلك تبدل منها في قول الشاعر :

.... بُكاء حمامة في يوم غَيْنِ

أي غيم ... "

التعليق :

اكتفى المؤلِّف للاستشهاد على وقوع الإبدال بين صوتي الميم والنون بشطر من بيت مجهول الهوية ، ولكن ذكر أبو الطيب اللغوي وصاحب اللسان أن هذا الشطر من أبيات أنشدها يعقوب ابن السكيت لرجل من بني تغلب يصف فرسًا :

فِداءٌ خالتي وفِدًى صَديقي ... وأَهْلي كُلُّهُمْ لأبي قُعَيْنِ

فَأَنْتَ حَبَوْتَني بِعِنانِ طِرْفٍ ... شَديدِ الأَسْرِ ذي بَذْلٍ وصَوْنِ

كأَنِّي بَيْنَ خافِيَتَيْ عُقابٍ ... تُريدُ حَمامَةً في يَوْمِ غَيْنِ

أي في يوم غَيْم . والغين هو السحاب [1] .

---

(١) انظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي ٢/٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ولسان العرب (غين) ٥/٣٣٣٠ .

وبالرغم من تبادل صوتي الميم والنون في تلك اللفظة إلا أن العلاقة الصوتية من الناحية المخرجية بينهما تبدو مفقودة .

حيث يخرج صوت الميم مما بين الشفتين ، في حين يخرج صوت النون من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا [١] ، فعند النطق به يندفع الهواء من الرئتين محركاً الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراة في الحلق أولاً ، حتى إذا وصل إلى الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم ويتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثاً في مروره نوعاً من الحفيف لا يكاد يسمع [٢] .

ولكن بالرغم من ذلك فالنون أخت الميم في اللغة كما ذكر المؤلِّف اعتماداً على أنهما من الأصوات المتوسطة أو المائعة ، إضافة إلى الاشتراك في صفات الجهر والانفتاح والاستفال والذلاقة ، كما تشتركان في الغنة .

ونظراً لهذا الاشتراك فقد حمل كتاب " الإبدال " لأبي الطيب اللغوي كَمّاً كبيراً من الألفاظ التي تحمل صور التعاقب بين الميم والنون [٣] .

---

(١) سر صناعة الأعراب ٥٢/١ . وانظر : الكتاب ٤٣٣/٤ ، والمقتضب ٣٢٩/١ .

(٢) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ ٦٦ . وانظر : علم اللغة د. محمود السعران صـ ١٦٩ ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ ١٢٩، ١٣٠ .

(٣) انظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي ٤٢٣/٢ : ٤٤٤ .

الصورة الخامسة : الإبدال بين الهمزة والألف

النص :

١ – (باب الألف والهمزة) يقول المؤلِّف : " وهما في المعنى واحد ، إلا أنه إذا كان ساكناً مُدَّ الصوت ، ويسمى ألفًا ، ومخرجه إذ ذاك من وسط الحلق ، وهو حرف هاوٍ ، وإذا كان مقطعاً يسمى همزة ، ومخرجها حينئذ من أول الصدر ، وهذا هو الصحيح من أمرهما وهو مذهب سيبويه وأكثر المحققين من أئمة النحويين .

وزعم بعض المتقدمين – وهو الأخفش ومن تابعه – أنَّ الهمزة غير الألف ، واستدلّ على ذلك باختلاف مخرجهما ، كما تقدَّم ، ولا حجة فيه ؛ لأنَّ النون الساكنة غُنَّةٌ في الخيشوم مع ارتفاع طرف اللسان إلى الحنك الأعلى [(١)] ، من غير أن تكون فيها غنة خالصة ، وقد اتفقنا على أنها نون .

والدليل على أن الألف هي الهمزة شيئان :

أحدهما : أنَّا إذا ابتدأنا بالهمزة على أي صورة تحرَّكَتْ ، من الضم أو الفتح أو الكسر ، كتْبناها ألفاً ؛ لا خلاف بين جميعهم في ذلك نحو : أُبْلُم [(٢)] ، وإثْمِد [(٣)] ، وأصْبُع [(٤)] .

---

(١) انظر : سر صناعة الإعراب ١/٥٦ ، ٥٧ .

(٢) الأبْلَم : خوص المُقْل . لسان العرب (بلم) ١/٣٥٢ .

(٣) الإثمد : حجر يُتَّخَذ منه الكحل . السابق (ثمد) ١/٥٠٣ .

(٤) هذه بعض لغاتها – السابق (صبع) ٤/٢٣٩٥ .

والثاني : أنَّا إذا نطقْنا بحرف من حروف المعجم فلا بدَّ من النطق بأول حرف منه في أول لفظه نحو : باء وتاء وجيم وحاء إلى آخر حروف المعجم . ولما كنا نقول : ألف ، فتكون الألف في أول علْمنا أنه كسائر الحروف فيما ذكرنا . ولكن لما لم يمكن النطق بالألف في أول اللفظ ساكنة حُرِّكَتْ للابتداء بها فصارت همزة وكان لها إذ ذاك مخرج غير مخرج الألف ، وكانا في المعنى واحداً ، ولذلك وضعها واضع حروف المعجم أول الحروف همزة ، ووضعها مع اللام قبل الياء ألفاً ..." (١) .

٢- في " باب الهمزة التي هي بدل من ألف " : ذكر المؤلِّف " الموضع الخامس : ... وقد أبدلت الهمزة من ألف المد في نفس الكلمة ، وهو موقوف على السماع ، فمن ما جاء منه : الخأتم في الخاتم ، والعَألم في العالم ، وهي لغة العجَّاج قال :

فَخِنْدِفٌ هَامَةُ هذا العَألَمِ (٢) .

---

(١) رصف المباني ٨ : ١٠ .

(٢) ديوان العجاج . تحقيق . وليم بن الورد ص ٦٠ – ليبزغ ١٩٠٣م . وقبله :

يا دارَ سَلْمي يا اسْلَمي ثُمَّ اسْلَمِي .

وهو في شرح المفصل ١٣/١٠ ، ولسان العرب (علم) ٣٠٨٥/٤ .

وقرأ بعضهم : " عليهم ولا الضألين " [١] ، بهمزة متحركة لالتقاء الساكنين هي وما بعدها ، و " ولا جأن " [٢] .كذلك ، وعليه قوله :

.... حَتَّى ابْيَأَضَّ مَلْبَبُهْ [٣] .

(١) الفاتحة ٦- وقرأ بها أيوب السجستاني - انظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه صـ ٩- طبعة مكتبة المتنبي - القاهرة ، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه صـ ٣٤ - المكتبة الثقافية - بيروت - لبنان - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني . تحقيق . على النجدي وآخرين ٤٦/١- القاهرة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م ، وسر صناعة الإعراب٧٦/١ ، والكشاف للزمخشري ١٧/١ - دار الكتاب العربي ، وشواذ القراءة واختلاف المصاحف للكرماني صـ ١٧ - نسخة مصورة من المخطوط رقم ٢٢٤ (قراءات) - مكتبة الجامع الأزهر ، والجامع لأحكام القرآن ١٩٨/١ ، والبحر المحيط ٥٢/١، والنشر ١٠٩/١ .

(٢) الرحمن ٤٠ . وهي قراءة الحسن وعمرو بن عبيد . انظر : مختصر في شواذ القرآن صـ ١٥٠ ، والمحتسب ٣٠٥/٢ ، والكشاف ١٧١ ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لا بن عطية . تحقيق . أحمد صادق الملاح ١٢ / ٩٤ - القاهرة - ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، والجامع لأحكام القرآن ١٩٨/١ ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري . تحقيق د. إبراهيم عطوه عوض٨/١- دار الحديث - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، والبحر المحيط ١٠ / ٦٦ ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظم والسبع المثاني للألوسي . حققه . على عبد الباري عطية ١٥٩/١٠ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(٣) البيت لـ : " دكين " كما في سر صناعة الإعراب ٧٧/١ . وتمامه :

رَاكِدَةٌ مِخْلاتُهُ وَمَحْلَبُهْ ... وَجُلُّهُ حَتَّى ابْيَأَضَّ مَلْبَبُهْ

وهو في الخصائص ١٤٨/٣. والملبب : موضع اللبة وهي وسط الصدر .

وقول الآخر :

... وَأَمَّا بِيضُها فَادْهَاَمَّتِ ..." (١) .

التعليق :

ظهرت الهمزة والألف في صورة الكتابة العربية على هيئة واحدة ، حيث يقول ابن جني : " اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة في الحقيقة ، وإنما كُتبت الهمزة واواً مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف ، ولو أريد تحقيقها البتة لوجب أن تكتب ألفاً في كل حالة " (٢) .

وكذلك يقول ابن يعيش : " اعلم أن أصل حروف المعجم عند الجماعة تسعة وعشرون حرفاً على ما هو المشهور من عددها ، أولها : الهمزة ، وإنما يقال لها : الألف ، وإنما سموها ألفاً ؛ لأنها تصور بصورة الألف ، فلفظها مختلف وصورتها وصورة الألف اللينة واحدة " (٣) . ونظراً لذلك فقد خلط بعض العلماء بينهما ومنهم المؤلِّف ، حيث ذكر أن الألف والهمزة في المعنى واحد ، إلا أنه إذا

---

(١) البيت لكثير عزة . وهو في ديوانه . تحقيق . هنرى بيرس ص ١١٣ .الجزائر . د. ت . وتمامه :

وَلِلأَرْضِ أَمَّا سُودُها فَتَجَلَّلَتْ   بَياضاً وَأَمَّا بِيضُها فَادْهَاَمَّتِ

وهو في سر صناعة الإعراب ٧٧/١ ، والخصائص ١٤٨/٣ ، وشرح المفصل ١٢/١٠ ، والبحر المحيط ١ / ٥٢ ، وادهأمت : اسودت ، يريد اضطراب الأرض بعد وفاة عبد العزيز بن مروان .

(٢) سر صناعة الإعراب ٤٩/١ .

(٣) شرح المفصل ١٢٦/١٠ .

كان ساكناً مُدَّ الصوت بها ، ويسمى ألفاً ، ومخرجه إذ ذاك من وسط الحلق ، وهو حرف هاوٍ ، وإذا كان مقطعاً يسمى همزة ، ومخرجها حينئذ من أول الصدر ، ثم استدل على ذلك ببعض الأدلة السابقة في النص .

وهو في ذلك يتابع الخليل وسيبويه ، حيث ذكر الخليل أن الهمزة هوائية تلتقي مع الألف والواو والياء في ذلك ، فليس لها حيز تنسب إليه كما في هذه الأصوات ، حيث يقول : " والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد ، لأنها لا يتعلق بها شيء .." [١] .

" ويمكن تحليل هذا الخطأ الذي وقع فيه الخليل ومن تابعه بأنه حين نطقه لمعرفة طبيعتها لم ينطقها وحدها ، وإنما نطقها متلوة بحركة فبدت كما لو كان هواؤها حرّاً طليقاً ، على حين أن حرية الهواء إنما تنسب إلى الحركة المصاحبة لا إلى الهمزة ذاتها " [٢] .

وقد وقع سيبويه في هذا الخلط أيضاً عندما ذكر أن الهمزة والألف يخرجان من أقصى اللسان [٣] .

ولكن ليس معنى هذا أن الخليل وسيبويه لم يدركا الفرق بين الهمزة والألف ، وإنما التشابه بين صورة الكتابة هو الذي دعا إلى هذا الخلط ، بدليل أن الخليل ذكر أن " الهمزة مخرجها أقصى

---

(١) العين ٦٥/١ .

(٢) علم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر ص ١١٣ .

(٣) الكتاب ٤٣١/٤ .

الحلق مهتوتة مضغوطة ، فإذا رفه عنها لانت إلى الياء والواو والألف على غير طريقة الحروف الصحاح " [١] .

وفي هذا دلالة على أنه يدرك مخرج الهمزة جيداً ، وأن المقصود بالهمزة الهوائية هي الهمزة المخفَّفة وليست المحققة .

وهو في ذلك يتفق مع ما ذهب إليه المحدثون من أن مخرجها الحنجرة ، وإن اختلف التعبير بينهم ، " ويمكن قبول رأي القدامى هذا بافتراض واحد . هو أنهم ربما أطلقوا الحلق على منطقة واسعة تشمل الحنجرة وغيرها ، وتكون الحنجرة حينئذ هي المقصودة بـ " أقصى الحلق " " [٢] .

إذاً تنتمي الهمزة إلى الحروف الصحاح مثلها مثل بقية الحروف الصحيحة ، بخلاف الألف فتنتمي إلى الحركات الطويلة مع الواو والياء ، فـ " اعتبار حرف المد ساكناً اعتبار خاطئ ؛ لأن حرف المد ليس سوى حركة طويلة ، ففي مثل (دابة) لم يلتق ساكنان في الحقيقة ، وإنما هما باءان متواليتان ؛ إحداهما ساكنة والأخرى متحركة ، وهما مسبوقتان بحركة طويلة هي الألف " [٣] .

---

(١) العين ١/٨٥ .

(٢) علم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ ١١٤ .

(٣) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي – د. عبد الصبور شاهين صـ ٣٩٦، ٣٩٧ – مكتبة الخانجي – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .

وفي هذا تأكيد على أن الخلاف المخرجي وإن بدا واضحًا بين صوتي الهمزة والألف إلاَّ أن العلاقة الصوتية تبدو بينهما من ناحية الاشتراك في صفة الجهر ؛ لأن الألف صوت انطلاقي مجهور مثل الهمزة والتي يظهر فيها الجهر مثل غيرها من أصوات الجهر الأخرى كما ذهب القدامى [١] ، واتفق معهم بعض المحدثين في ذلك [٢] ؛ لأن " زمير الجهر يظهر في نطق الهمزة شديدة عند انفجار هوائها ، وإن كان لا يستمر ، أما همزة بين بين والمبدلة حرف مد فجهرها واضح " [٣] .

وقد ظهر في كتب اللغة بعض صور الإبدال بينهما كما ذكر ابن منظور في " ألقاب الهمزات " ، حيث قال : " ومنها همزة التوهم ، كما روي الفراء عن بعض العرب أنهم يهمزون مالا همز فيه إذا ضارع المهموز . قال : وسمعت امرأة من غَنِيٍّ تقول : رَثَأْت زوجي بأبيات ، كأنها لما سمعت رَثَأْتُ اللبن ذَهَبَتْ إلى أن مَرْثِيَة الميت منها . قال : ويقولون : لَبَّأْتُ بالحج ، وحَلَّأْت السَّوِيق ، فيغلطون ، لأن حَلَّأْت يقال في دَفْع العطشان عن الماء ، ولَبَّأْت يُذْهِب بها إلى اللَّبا . وقال : اسْتَنْشَأْتُ الريح ، والصواب : اسْتَنْشَيْت ، ذهبوا به إلى قولهم : نَشَأَ

(١) انظر : الكتاب ٤٣١/٤ ، وسر صناعة الإعراب ٧٨/١ ، والرعاية صـ ١١٩ ، وشرح المفصل ١٢٩/١٠.

(٢) انظر : فقه اللغة د. علي عبد الواحد وافي صـ ١٦٧ ، ودراسات في فقه اللغة د. صبحي الصالح صـ ٢٨١ .

(٣) أصوات اللغة العربية د. محمد حسن جبل صـ ١٣٣ – الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

السحاب ... وسمعت رجلاً من بني كلب يقول : هذه دَأْبَة ، وهذه امرأة شَأْبة ، فهمز الألف فيهما ... " [(١)] .

وذكر أبو حيان أن في القراءات القرآنية ما يؤيد ذلك ، حيث ذَكر أن بني أسد كانوا يهمزون " يأجوج ومأجوج " [(٢)] و " يؤنس " [(٣)] .

والمؤلِّف قد اكتفى بذكر ستة أمثلة من صورة الإبدال بين صوتي الهمزة والألف جمعت بين الوارد في كتبي اللغة والقراءات وهي :-

١ - الخأتم في الخاتم . ٢- العَألم في العالم .

٣- الضألين في الضالين . ٤- جأن في جان .

٥- ابيأض في ابياض . ٦- ادهأمَّت في ادهامت .

والنطق بالهمز في بعض اللهجات العربية كما يقول ابن جني : " وربما لم يكتف من تقوى لغته ، ويتعالى تمكينه وجهارته ، دون أن يطغى بم طبعه ، ويتخطى به اعتماده ووطؤه ، إلى أن يبدل من هذه الألف همزة ، فيحملها الحركة التي كان كلفاً بها ، ومصانعاً بطول المدة عنها ، فيقول : شأبة ودأبة " [(٤)] .

---

(١) لسان العرب (حرف الهمزة) ٢١/١ ، ٢٥ . وانظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي ٥٤٤/٢ : ٥٤٨ .

(٢) سورة الكهف من الآية ٩٤ .

(٣) سورة النساء من الآية ١٦٣ . وقيل : ولا وجه له إلا اللغة المحكية عن العجاج أنه كان يهمز العألم والخأتم . البحر المحيط ٢٢٦/٧ . وانظر : المرجع نفسه ١٣٧/٤ .

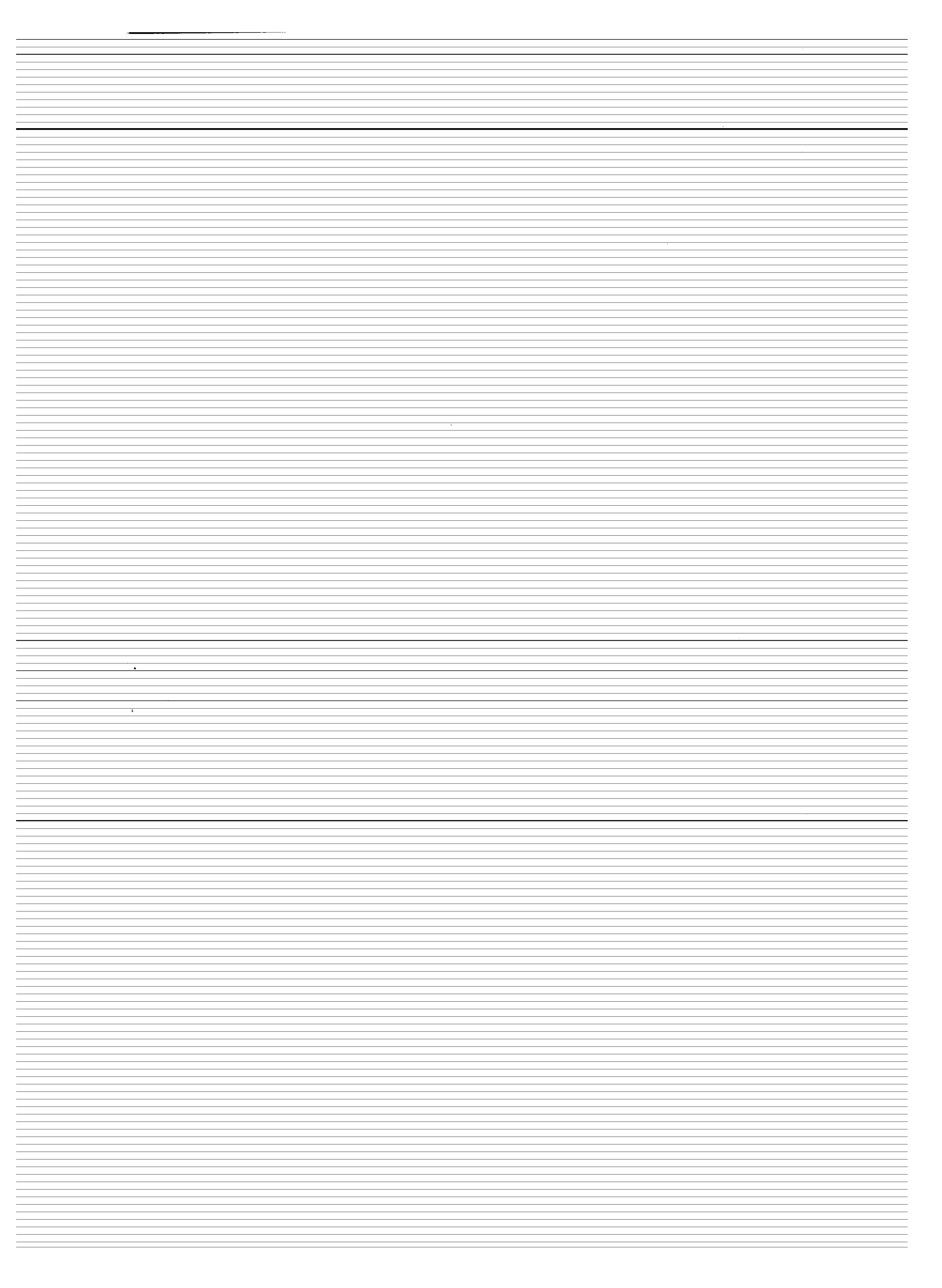
(٤) الخصائص ١٢٨/٣ .

والسر في هذا الإبدال مع المشدد كما يقول ابن جني هو : " كراهة الجمع بين ساكنين ، الألف والنون الأولى في هذه اللفظة ، فحركت الألف لالتقائهما ، فانقلبت همزة ، لأن الألف حرف ضعيف واسع المخرج ، لا يتحمل الحركة ، فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه ، وهو الهمزة " [1] .

---

(١) سر صناعة الإعراب ٨٢/١ بتصرف يسير . وانظر : شرح المفصل ٩/ ١٣٠ ، ١٢/١٠ .


المبحث الثالث
الإشباع والاختلاس



الإشباع والاختلاس

لما كان لكل صوت زمن يستغرقه في النطق كانت أصوات المد ، وهي ما تعرف عند المحدثين بـ " الحركات الطويلة " هي أكثر الأصوات إطالة لزمن النطق بها ، وما كان الفرق بينها وبين الحركات القصيرة إلا في مقدار زمن النطق بكل منهما ، فكما يقول أحد الباحثين : " وما الفرق بين الحركات وحروف المد إلا بمقدار الزمن الذي يستغرقه نطق كل منهما ، فالحركة إذا أطيل زمن النطق بها صارت حرف مد ، وكذلك حرف المد إذا قصر زمن النطق به رجع إلى الحركة ؛ لأن الفرق بين الحركات وحروف المد فرق في الكمية لا أكثر "[(١)] .

فعن طريق إطالة زمن النطق بالحركات القصيرة نشأت ظاهرة الإشباع ، وعن طريق إجتزاء وإسكان وحذف الحركات الطويلة نشأت ظاهرة الاختلاس في العربية .

وفيما يلي عرض لكل منهما على حدة :

---

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد د. غانم قدوري الحمد ص ٥٠٧- مكتبة الخلود – بغداد – الطبعة الحادية عشرة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

أولاً : الإشباع

والإشباع كما يقول الدكتور / تمام حسان : " هو تقوية النطق بالصوت " (١) أو " إتمام الحكم المطلوب من تضعيف صيغة حرف المد أو اللين لمن له ذلك " (٢).

وقد كان ابن جني موفقاً في التعبير عن هذه الظاهرة بقوله : " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ... وذلك أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه ، وذلك نحو فتحة عين (عَمَر) فإنك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف ، فقلت : عامَر . وكذلك كسرة عين (عِنَب) إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة ، وذلك قولك : عِيْنَب . وكذلك ضمة عين " عُمَر " لو أشبعتها لأنشأت بعدها واوًا ساكنة ، وذلك قولك : " عُوْمَر " فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، وأوائل لها لما نشأت عنها ، ولا كانت تابعة لها " (٣) .

ويؤكد ابن جني على ذلك في باب خاص أطلق عليه " مطل الحروف " يقول فيه : " وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها ، فتنشئ بعد الفتحة الألف ، وبعد الكسرة الياء ، وبعد الفتحة الواو " (٤) .

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان صـ ٣٠٢- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م .
(٢) الإضاءة في بيان أصول القراءة صـ ٢٧.
(٣) سر صناعة الأعراب ١٧/١ ، ١٨ . وينظر : الخصائص ٣١٧/٢ .
(٤) الخصائص ١٢٣/٣ .

الإشباع في رصف المباني :

أشار المؤلِّف في كتابه " رصف المباني " إلى إشباع الحركات القصيرة الثلاث (الفتحة والكسرة والضمة) وتولُّد الحركات الطويلة منها (الألف والياء والواو) في عدة مواضع بيانها على النحو التالي :

أولاً : إشباع الفتحة

النص :

ذكر المؤلِّف في " باب الألف " : " أن تكون إشباعاً للفتحة إذ تتولَّد عنها إذا مُدَّ الصوت بها ، وأكثر ذلك في الشعر .

كقول الشاعر :

يَنْباعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ　　　مَشْدُودَةِ الفَتِيقِ المُقْرَم [1]

وقال آخر :

قالت وقد خَرَّت على الكلكال　　　يا ناقتي ماللت من منال [2]

---

(١) ديوان عنترة . تحقيق . محمد سعيد المولوي صـ ٢٠٤- بيروت . د ت . ورواية " مشدودة " فيه : " زيَّافة " . وهو في : الخصائص ١٢٣/٣ ، ولسان العرب (بوع) ٣٨٨/١ ، والزفري : العظم خلف الأذن ، والغضوب : هي الناقة ، والجسرة : هي الطويلة العظيمة الجسم ، والزيافة : السريعة ، والفتيق : الفحل المكرم ، والمقرم : الفحل الذي يترك من العمل ويودع للضراب .

(٢) المحتسب ١٦٦/١ برواية : ما جلت من مجال ، ولسان العرب (كلل) ٣٩٢١/٥ ، والجني الداني صـ ٦٩ . والكلكل : الصدر .

وقال آخر :

أعوذُ باللهِ من العَقْراب   الشائلاتِ عُقَدَ الأذْنابِ (١)

فأشبع الأول فتحة الباء من " ينْبع " ، والثاني فتحة الكاف من " الكلكل " ، والثالث فتحة الراء من " العقرب " ، فتولدت عنها الألف كما ترى " (٢) .

ثانياً : إشباع الكسرة

النص :

في الباب السابق ذكر المؤلِّف : " قول الشاعر :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة   نفي الدراهيم تنقاد الصياريف (٣)

وأما " الصياريف " فجمع " صِرف " ، لكنه أشبع الكسرة فتولَّدتْ عنها الياء كما قال :

تحبك نفسي ما حييت فإن أمت   يحبك عظم في التراب تريب (٤)

أراد : ترب " .

---

(١) لسان العرب (سبسب) ١٩٢١/٣ .

(٢) رصف المباني ص١١، ١٢ .

(٣) ديوان الفرزدق . تحقيق . عبد الله الصاوي ٥٧٠/٢- مصر ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م . وهو في : الكتاب ٢٨/١، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٤ ، والخصائص ٣١٥/٢ ، ولسان العرب (صنع) ٢٥٠٩/٤ .وتنفي : تطرد وتبعد ، تنقاد : مصدر نقد إذا ميَّز رديئها من جيدها ، الصياريف : جمع صيرف وهو الخبير بالنقد .

(٤) لم أقف عليه .

ثالثًا : إشباع الضمة

النص :

في الباب السابق أيضاً ذكر المؤلِّف هذا الموضع بقوله : " وكما تتولَّد الألف عن الفتحة في نحو ما ذكر ، والياء عن الكسرة فيما ذكر أيضًا وأشباهه ، كذلك تتولَّد الواو عن الضمة إذا أشبعت كقوله :

الله يعلم أنا في تقلبنا
يوم الفراق إلى أحبابنا صور

وأنني حيثما أثني الهوى بصري
من حيث ما سلكوا أدنو فأنظور [1]

أراد : " أنظر " فأشبع حركة الظاء فتولدت عنها الواو " .

ومن خلال ثلاثة نصوص أشار المؤلِّف إلى هذه المواضع جميعًا ذاكراً من خلالها بعض الوظائف الدلالية للإشباع .

---

(١) رصف المباني صـ ١٢ ، ١٣ . وانظر صـ ٤٤٦ في باب الباء المفردة . نسبا إلى ابن هرمة في شرح المعلقات السبع للزوزني صـ ٢٨٥ – مصر ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م ، وسر صناعة الإعراب ١ / ٣٦ ، وهما في الخصائص ١ / ٤٢ ، ٢ / ٣١٦ ، ٣ / ١٢٤ – والرواية فيه :" تلفتنا " و" يسري " عوضًا من " تقلبنا " و " أثنى " . ولسان العرب (صور) ٤ / ٢٥٢٤ . والصور : جمع أصور ، وهو المائل العنق .

النص الأول :

ذكر المؤلِّف في " باب الهمزة " : " الموضع الثالث عشر : أن تكون للإنكار في أول الكلمة ، وذلك إذا أنكرت كلام غيرك أو أنكرت رأيه ، فتقول في نحو جاء زيد : أزيدُ نية ، ورأيت زيداً : أزيدَ نية ، ومررت بزيد : أزيدِ نيه برفع الدال ونصبها وجرها ، وذلك في المعرب ؛ لأن النون من " نيه " هو التنوين ، والياء إشباع لحركة النون وبيان الإنكار ، والهاء لبيان المد والوقف " [1] .

النص الثاني :

في باب " الياء المفردة " : الموضع الثامن : أن تكون للتذكر كالواو والألف كقولك في الوقف على الكلمة الأولي التي لا تتم إلاَّ بغيرها ، وكانت آخرها كسرة ، وذلك في نحو أنت تفعلين : أنتي ، ولم تضربِ الرجل : تضربي .

ومنه قوله : .... لَمَّا تزُلْ (بِرِحالِنا [2]) وكأن قد [3] .

فالياء في البيت جمعت معنيين ، أحدهما الإطلاق والآخر التذكر ؛ لأن المعنى : وكأنْ قد زالت ، فلما حُذِفَ

---

(١) رصف المباني صـ ٥٣ .

(٢) في النص : (بركابنا) .

(٣) ديوان النابغة . تحقيق د. شكري فيصل صـ ٣٠ – بيروت ١٩٦٨م . وقبله :

أَفِدَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أنَّ رِكَابَنَا .

وهو في لسان العرب (قدد) ٣٥٤٤/٥ . وفيه " أزف " عوضًا من " أفِدَ " . وأفِد : قرب ، لم تزل : لم تنتقل .

" زال " – وهو يراد – جعل الياء للتذكر عوضاً منه ، ووقعت إطلاقاً كما ترى .

وإذا وقعت آخر الكلمة في الوصل ياء وحَذَفْتَ ما بعدها ووقفتَ أشبعتَ تلك الياء قدر يائين كما تفعل في الألف ، ومثل ذلك أيضًا يُفْعَلُ في الواو ، فتقول : أعطى زيدٌ درهماً : أعطا ، أو في ضربتم زيدًا : ضربتمو ، وفي غلامي يقوم : غلامي ، حتى يُعْلَم في ذلك أن ذلك المدَّ إنما هو عارض من المحذوف على معنى التذكر " [1] .

النص الثالث :

في " الباب السابق " : " أن تكون في آخر الضمير المفرد المذكر ، دلالة على التذكير كما كانت الألف فيه دلالة على التأنيث نحو : بهي ، كما تقول في الألف بها : بها ، وكذلك في ضمير الجمع المذكر دلالة على الجمع ، وذلك في بهمي وعليهمي ، كما كانت الألف دلالة على التثنية في بهما ، والواو دلالة على الجمع المذكر في بهمو ، وهما لغتان : بهمو وبهمي ، وعليهمو وعليهمي ، كما أن المذكر أيضًا فيه لغتان : الواو والياء ، فتقول : عليهمي وعليهمو ، وإليهمي وإليهمو ... " [2] .

---

(١) رصف المباني صـ ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٢) السابق صـ ٤٤٨ .

التعليق :

ذكر المؤلِّف عدة شواهد تؤكد أن ظاهرة الإشباع من الظواهر التي لها واقع ملموس في العربية ، وهذا ما نؤكد عليه بدليل شيوع هذه الظاهرة في لغة أهل الحجاز ، واليمن ، وبعض بني سليم [١] ، إضافة إلى تميم وطيئ [٢] ....

وقد يبدو غريباً أن تنسب هذه الظاهرة غالبًا إلى القبائل البدوية ، والتي عرف عنها السرعة في النطق وعدم التأني في الآداء نظراً لطبيعة حياتهم ، ولكن الأمر ليس على إطلاقه ؛ لأن القبائل المتأنية تعطي كل صوت حقه من الأداء فلا حاجة بها إلى إشباعه ... والذي نظنه أن العلاقة قوية بين الإشباع هنا وبين ما عُرف عن القبائل البدوية من سرعة في الآداء ؛ لأن هذا الإشباع هو المحطة التي يريح أحدهم فيها نفَسَه بعد إجهاده بسرعة الآداء ، أما القبائل المتأنية فلا حاجة بها إلى وقفة تريح النفس... [٣].

---

(١) انظر : الكتاب ١٧٧/١ ، والمحتسب ١٦٦/١ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٤٣٠ ، والخصائص ٣١٨/٢ ، ٢٣/٣ : ١٢٦ ، وسر صناعة الإعراب ٧٢٧/٢.

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ١٥٢/٢، والمصباح المنير للفيومي (نخر) صـ ٢٢٧- ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك . حققه . محمد كامل بركات صـ ٢٥ - دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م . وارتشاف الضرب ٤٦٣/١ ، ٤٧٣ ، والبحر المحيط ٦٢٨/٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤٤٨/١ .

(٣) اللهجات في الكتاب لسيبويه (أصواتاً وبنية) د. صالحة راشد غنيم آل غنيم صـ ١٢٣، ١٢٩- جامعة أم القرى - مكة المكرمة - مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - الطبعة الأولي ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

فمطل الحركة هنا كان أحياناً ضرورة تفرضها عليهم سرعتهم في النطق ؛ لأن هذه السرعة تحتاج إلى شيء يحد منها ، وكان المطل في بعض الكلمات بمثابة كابح يكبح جماح هذه السرعة فيعطي الكلام دفعات من الروية ، وقد أشار ابن جني إلى مثل هذا حين ربط بين الإشباع في بعض مواضعه وبين طريقة الآداء فقال : " ... وهذا المطل لا يكون مع الإسراع والاستحثاث ، وإنما يكون مع الروية والتثبت[١] ". فإشباع الحركة بما فيه من روية وتثبت كالمستراح يريح فيه البدوي نفسه من الإجهاد بسرعة الآداء [٢] .

وقد ذكر المؤلِّف في النصوص الثلاثة الأخيرة بعض الوظائف الدلالية لظاهرة الإشباع منها التذكر والإنكار ، و هما من الوظائف الدلالية لتلك الظاهرة ، حيث ذكر ابن جني أن ظاهرة الإشباع تأتي " لمعان حدثت وأغراض زيدت [٣] " ، ثم أشار للدلالة الأولى بقوله : " وكذلك الحركات عند التذكر يُمْطَلْن حتى يفين حروفاً . فإذا صرنها جرين مجري الحروف المبتدأة توامَّ ، فيُمْطَلْن أيضاً حينئذ ؛ كما تُمْطَل الحروف . وذلك قولهم عند التذكر مع الفتحة في قمت : قمتا ، أي قمت يوم الجمعة ، ونحو ذلك ،

---

(١) المحتسب ١٦٥/١ .

(٢) الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث د. الموافي الرفاعي البيلي ص ٢٠١- الطبعة الأولي ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

(٣) سر صناعة الإعراب ٧١٩/٢ .

ومع الكسرة : أنتي ، أي أنت عاقلة ، ونحو ذلك ، ومع الضمة : قمتو ، في قمتُ إلى زيد ، ونحو ذلك " [1] .

ثم ذكر ابن جني الدلالة الثانية وهي الإنكار بذكر تلك الحكاية في كتابه " المحتسب " فيقول : " يحكى أن رجلاً ضرب ابنًا له ، فقالت له أمه : لا تضربه ، ليس هو ابنك ؛ فرافعها إلى القاضي فقال : هذا ابني عندي ، وهذه أمُه تذكر أنه ليس مني . فقالت المرأة : ليس الأمر على ما ذكره ، وإنما أخذ يضرب ابنه فقلت له : لا تضربه ليس هو ابنك ، ومدت فتحة النون جدًا ، فقال الرجل : والله ما كان فيه هذا الطويل الطويل " [2] .

ثانيًا : الاختلاس

والاختلاس هو : عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعًا يحكم السامع أن الحركة قد ذهبت وهي كاملة في الوزن ، وقيل : هو عبارة عن النطق بثلثي الحركة وهو الصحيح [3] .

وقد تحدث عن هذه الظاهرة بعض الباحثين المحدثين تحت ما يسمى بـ " تقصير العلة " مؤكداً أن مقطع الكلمة يتغير نظراً لما يحدث لها من تقصير فيقول : " من المعروف أن اللغة العربية لا تسمح بالمقطع س ع ع س إلا قبل سكتة ، أي في حالة الوقف . فإذا طرأ موقف سبب حدوث س ع ع في غير ما سبق السماح به ، فإن اللغة

---

(١) الخصائص ١٣١/٣، ١٣٢ .

(٢) المحتسب ٢١٠/٢ .

(٣) الإضاءة في بيان أصول القراءة صـ ٣٩ ، ٤٠ .

تميل إلى تقصير العلة لتصحيح الخلل الطارئ . مثل ذلك : " في المدى " التي تقسم في الأصل إلى المقاطع الثلاثة : س ع ع س / س ع / س ع ع / . ولما كان المقطع س ع ع س قد وقع في الوسط ، وهذا محظور فقد تخلصت اللغة من هذا المحظور عن طريق تقصير العلة الطويلة وتحويل المقطع الأول إلى س ع س "[١] .

وقد تحدث عنها الدكتور / تمام حسان تحت ظاهرة " الكمية " فقال : " إن الكلمات التي تنتهي بالألف أو الواو أو الياء إذا وقعت إحداها قبل كلمة مبدوءة بالساكن فقد حرف المد في نهايتها كمية وأصبح بمقدار الحركة من ناحية " المدة " التي يستغرقها النطق بحرف المد . ومعنى ذلك أن البنية المقطعية قد اختلفت بمطالب الكلام عما كانت عليه حسب مقررات القاعدة[٢] ..."

الاختلاس في رصف المباني :

من خلال خمسة نصوص معقودة لخمسة حروف عربية بدت ظاهرة الاختلاس في (رصف المباني) على النحو التالي :

النص الأول :

في فصل الألف ومعانيها ومواضعها في كلام العرب يذكر المؤلِّف الموضع الثالث منها فيقول :

" والقسم المبين للتأنيث هي الألف التي بعدها الإضمار المؤنث نحو : ضربتُها ، وأكرمتها ، والأصل في المذكر في الهاء : الضم

---

(١) دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر صـ ٣٩١ .

(٢) اللغة العربية معناها و مبناها د. تمام حسان صـ ٣٠٦ .

مع الضمة والفتح مع الفتحة والكسر مع الكسرة ، نحو : ضربته ، ومررت به ، والواو والياء بعدها دليلان على التذكير ، وفي المؤنث الهاء المفتوحة بعد الفتح وغيره وهو السكون . والألف بعده لبيان التأنيث ، مثاله ما ذكر [1] ، والهاء الأصل في الجميع ، بدليل أنها [2] تحذف الواو والألف والياء في الضرورة إذا كان قبلها متحرك ، وتبقي الهاء بحركاتها ، قال الشاعر :

أَعْلَقْتُ بِالذِّئْبِ حَبْلاً ثُمَّ قُلْتُ لَهُ

إِلْحَقْ بِأَهْلِكَ وَأَسْلَمْ أَيُّها الذِّيبِ

أما تَقُودُ بِهِ شاةً فتأكلُها

أَوْ أَنْ تَبِيعَهْ لدي بعضِ الأراكِيبِ [3] .

أراد : " تبيعها " ، فحذف الألف وأبقي الفتحة دلالة عليها ، ثم حذف الحركة تخفيفاً ، كما قال الآخر في المذكّر ، حين حذف الواو ، وأبقي الضمة تدل عليها :

لَهُ زَجَلٌ كَأَنَّهُ صَوْتُ حادٍ ... إذا طَلَبَ الوَسِيقَةَ أو زَمِيرُ [4] .

---

(١) أي : ضربتها وأكرمتها .

(٢) الضمير للقصة أو الشأن

(٣) انظر : لسان العرب (ركب) ١٧١٣/٣ ، وخزانة الأدب ٤٠٢/٢ .

(٤) ديوان الشماخ . تحقيق . صلاح الدين الهادي ص ٣٦ - مصر ١٩٦٨م . وهو في : الكتاب ٣٠/١ ، والخصائص ١٢٧/١ ، ولسان العرب (ها) ٤٥٩٦/٦ يصف حماراً وحشياً ، والوسيقة : أنثاه ، والزمير : الغناء في القصبة .

ثم حذف الآخر الحركة ، فبقي الضمير ساكناً تخفيفاً ، فقال :

وأَشْرَبُ الماءَ ما بي نَحْوَهُ عَطَشٌ
إلاَّ لأَنَّ عُيُونَهْ سَالَ وَادِيها [1]

وقال آخر :

... ونضواي مشتاقان لَهْ أرقان [2]

وأبعد من هذا قوله :

فبيناهُ يَشْري رحلهُ قال قائل
لِمَنْ جمل رخو الملاط نجيب [3] .

أراد " هو " فحذف الواو بحركتها . وكذلك فعلوا في هاء الضمير المكسور كقوله :

غفلت ثم أتت تطلبه فإذا هِيَ بِعِظامٍ ودَمَا [4]

---

(١) الخصائص ١٨/٢ ، ولسان العرب (ها) ٤٥٩٦/٦ .

(٢) قال في خزانة الأدب ٤٠١/٢ : اختُلف في نسبته بين أبي مسلم بن أبي قبيس وعمرو بن أبي عمارة ، وصدره : فظلت لدى البيت العتيق أخيله . وهو في المقتضب ٣٩/١ ، ٢٦٧ ، والخصائص ١٢٨/١ . ونضواي : صاحباي الهزيلان ، والضمير في " له " عائد إلى البرق في بيت قبله .

(٣) قال في خزانة الأدب ٣٩٦/٢ : البيت للمُخلّب الهلالي أو العُجَيْر السلولي . وهو الخصائص ٦٩/١ ،وشرح المفصل ٦٨/١ ، ولسان العرب (ها) ٤٥٩٦/٦ . ويشري : يبيع . والمِلاط : عضد البعير .

(٤) لسان العرب (أبي) ١٧/١ .

ثم قال الآخر ، فحذف الياء بحركتها :

دارُ لسعدي إذْهِ من هواكا [1] .

أراد " هي " ، وهو في باب الواو والياء أكثر منه في باب الألف لثقلهما وخفتها [2] .

ومما يجري مجري قوله : " أو أن تبيعَهْ " في البيتين المتقدمين ما حكى الفراء من قول بعض العرب : " بالفضل ذو فضَّلكم الله به والكرامة ذات أكرمكم الله بَهْ [3] " ، أراد : بها ، فحذف الألف ونقل حركة الهاء إلى الياء ، وهو شاذ لا قياس عليه " [4] .

النص الثاني :

في باب " أل " يذكر المؤلِّف " حذف بعض أجزاء " الذي " لكثرة الاستعمال ، كما فُعِل ذلك في " ايمُن الله " وقال : " الذيُّ " وهو الأصل ، ثم " الذي " ثم " الَّذ " ، كما قالوا : ايمُ ومُ ، فمن ما جاء على الأصل منه قول الشاعر :

فما ذا المال فاعلمه بمال وإن أنفقته إلا الذي

تنال به العلاء وتصطفيه لأقرب أقربيك وللقصيِّ [5]

---

(١) وقبله في خزانة الأدب ٣٩٩/٢ : هل تعرف الدار على تِبْراكا . وهو في الكتاب ٢٧/١ ، والخصائص ٨٩/١ ، ولسان العرب (ها) ٤٥٩٧/٦ .

(٢) أي : ثقل الواو و الياء وخفة الألف .

(٣) وهي لغة طيئ . شرح الأشموني ٢٠٦/٤ . وذو وذوات اسمان موصولان .

(٤) انظر : رصف المباني ص١٥ : ١٧ .

(٥) أمالي الشجرى ٣٠٥/٢ – الهند – ١٣٤٩هـ ، والدرر الهوامع على همع الهوامع للشنقيطي ٥٥/١– مصر ١٣٢٨ هـ .

ولا يُحتاج إلى الاستشهاد على " الذي لكثرته في النظم وفي النثر ، وقال الآخر في " الَّذِ " بحذف الياء والاجتزاء بالكسر قبلها :

وَاللَّذِ لوشاء لكنت صخراً أو جبلاً أصم مُشْمَخِرّاً [١] .

وقال آخر في سكون الذال منه تخفيفاً :

فكنت والأمر الذي قد كِيدا كاللَّذْ تَزَبَّى زبيةً فاصطيدا [٢]

ثم حذف الكلمة واجتُزِئ عنها بالألف واللام للزومها فيها وكثرة الاستعمال " [٣] .

النص الثالث :

في باب " حاش " يذكر المؤلِّف أنه " قد يجوز حذف ألفها اختصاراً كقوله تعالى : ﴿ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا ﴾ [٤] و﴿ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ [٥]، وذلك لكثرة الاستعمال ، ويظهر من مذهب الزجاج أنها اسم مضاف تارة إلى ما بعده وتارة تظهر اللام قبل المضاف إليه ، يقال : حاش الله ، وحاش لله ، كما يقال : معاذ الله ومعاذ لله ، وحُكي عن الفراء أنه فعل لا فاعل

---

(١) أمالي الشجري ٣٠٥/٢ ، والدرر اللوامع ٥٦/١ .

(٢) أمالي الشجري ٣٠٥/٢، وخزانة الأدب ٤٩٨/٢ . وتزبّى زبية : حفر حفرة .

(٣) انظر في لغات " الذي " : الأزهية في علم الحروف للهروي . تحقيق . عبد المعين الملوحي ص ٣٠١- دمشق ١٣٩١هـ - ١٩٧١م . وانظر : رصف المباني ص ٧٦ .

(٤) سورة يوسف من الآية (٤١) .

(٥) سورة يوسف من الآية (٥١) .

له (١) ، وحُكي عن بعض الكوفيين أنها فعل في الأصل وحَكي أنها كـ " نُعْم " في قول الشاعر :

فقد بُدِّلَتْ ذاكَ بِنُعْمٍ بال (٢) .....

هذا قول بعضهم ، والصحيح أنَّ " حاش " في الآيتين فعل حُذِفَ آخره لكثر الاستعمال ، وفاعله مضمر يعود على يوسف (عليه السلام) ، ومفعوله محذوف اختصاراً كأنه قال : حاش يوسف الفعلة لأجل الله ، وهذه التي مضارعُها " يحاش " ومعناها المجانبة ، وما فسَّره به بعضهم من التفسير وخرجوا به عن الأصول بعيد (٣) "

النص الرابع :

في باب " لن " يذكر المؤلِّف : " قال الشاعر في النصبَ بلن : ... فَلَنْ يَحْلَ للعينين بعدك منظر (٤) .

أي : " يَحْلي " فحذف الألف في النصب ، كما يحذفها في الجزم بـ " لم " فهو مجزوم كما قال أبو علي الفارسي وابن جني .

---

(١) انظر : شرح الكافية للرضي ٢٢٤/١- القاهرة ١٣٠٦هـ ، وهمع الهوامع للسيوطي / ٢٣٢- مصر ١٣٢٧هـ .

(٢) هو في المقرب لابن عصفور . تحقيق الجواري ،والجبوري ٦٥/١ - بغداد - ١٣٩١هـ - ١٩٧١م . وعجزه : وأيام لياليها قصار .

(٣) رصف المباني ص ٧٦ .

(٤) البيت لكثير ، وهو في ديوانه ٦٠/١ وصدره : أيَادي سَبا يا عَزُّ ما كُنْتُ بَعْدَ كُمْ . وأيادي سبا : مشتت الشمل .

وأظهر من هذا عندي أن يكون الأصل : " يَحْلي " بإثبات الألف والنصب مقدر في الواو المنقلبة الألف عنها ، ثم حذفت واجتزئ بالفتحة التي فيها قبلها في الدلالة عليها .

كما قال الشاعر :

وليس براجع ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لواني [١].

أراد بقوله : " يالهفا " لأن الألف بدل من الياء التي للمتكلم ، لأن أصله : يالهفي ، فإذا فُعِل ذلك بالألف المنقلبة عن الاسم فهو فيما انقلبَتْ عن حرف أولى ، فاعلمه " [٢] .

النص الخامس :

في " باب الياء المفردة " بذكر المؤلِّف أن " الحذف في الموضعين لغة أيضاً فيقال : إليهمْ وإليهُمْ ، وبه ، وعليه ، وعليْهُ ، وتصرَّف القُرَّاء في ذلك في القرآن على مَهْيع [٣] . هذه اللغات [٤] " .

---

(١) الخصائص ١٣٥/٣ برواية " فلست بمدرك " عوضاً من " وليس براجع " ، والمحتسب ٣٢٣/١ ، والمقرب ١٨١/١ ، والعيني ٢٤٨/٤ .

(٢) رصف المباني صـ ٢٨٨ .

(٣) والمهيع : البين .

(٤) رصف المباني صـ ٤٤٨ .

التعليق :

من خلال النصوص الخمسة التي قدمها المؤلِّف يمكن أن ندرك أن الاختلاس عنده قد تحقق من خلال ثلاثة عناصر :

أ- حذف الحركات الطويلة حال اتصالها بالضمير إذا كان قبلها متحرك في حالة الضرورة ، وهي في باب الواو والياء أكثر منه في باب الألف لثقلهما وخفتها .

ب- حذف الياء من " الذي " .

ج- حذف الألف الأخيرة من (حاشا) .

والعلة في ذلك كما ذكر المؤلِّف هي كثرة الاستعمال والاختصار ، مؤيداً رأي الخليل عندما قال : " إن العرب تقول : (لا أدر) فتحذف الياء وتجتزئ بالكسر ، إلا أنهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال ، والأجود في النحو إثبات الياء " [1] .

وكذلك يذكر ابن جني هذه العلة في قراءة ابن مُحَيصن والأشهب والأعمش : " وكَأْيٍ " بهمزة بعد الكاف ساكنة ، وياء بعدها مكسورة خفيفة ونون بعدها ، في وزن كَعْيٍ ... وأما كَاءٍ بوزن كعٍ فمحذوف من كاءٍ ، وجاز حذف الألف لكثرة الاستعمال " [2] .

وبالرغم من ذلك فقد أشار ابن جني في مواضع كثيرة إلى أن العلة من هذا الاجتزاء هو التخفيف وليس كثرة الاستعمال ،

---

(١) حجة القراءات صـ ٣٤٩ .

(٢) المحتسب ١/١٧١ .

حيث ذكر في تلك الرواية التي رواها الأعمش عن يحيى بن وثّاب ، والمغيرة عن إبراهيم : " ورُبَعَ " في قوله تعالى : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ (1) مرتفعة الراء منتصبة بغير ألف : " ينبغي أن يكون محذوفاً من (رُبَاع) تخفيفاً " (2) .

وكذلك أشار ابن جني إلى حذف الألف في قراءة ابن عامر وأبي جعفر والأعرج : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ (3) فيمن فتح التاء أنه أراد يا أبتا ، فحذف الألف تخفيفاً (4) .

وأيضًا في قراءة الحسن : حاش الإله ، فمحذوف من حاشا تخفيفًا (5) .

وكذلك في قراءة أبي رجاء : ﴿ ٱلۡقَنِع ﴾ (6) يريد القانع ، وهي قراءة العامة ، إلا أنه حذف الألف تخفيفاً وهو يريدها (7) .

---

(1) سورة النساء من الآية (٣) .
(٢) المحتسب ١٨١/١ .
(٣) سورة يوسف من الآية (٤) .
(٤) السابق ٢٧٧/١ . وانظر : معاني القرآن للفراء ١ / ٩١ ، والسبعة في القراءات ص ٣٤٤، وحجة القراءات ص ٣٥٣، والكشف ٣/٢ ، والتيسير ص ١٠٣، ومفاتيح الغيب ٦٤٩/١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٤٢/٤ ، والبحر المحيط ٢٣٦/٦ ، والمنشر ٢٩٣/٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ١٣٩/٢ .
(٥) المحتسب ٣٤١/١ . وانظر : الجامع لأحكام القرآن ٣٥٠٣/٤، والبحر المحيط ٢٦٩/٦ ، وإتحاف فضلاء البشر ١٤٦/٢ .
(٦) سورة الحج من الآية (٣٦) .
(٧) المحتسب ٨٣/٢ . وانظر : سر صناعة الإعراب ٦٣١/٢، ٧٧٣ ، ٧٠/٢ .

ومن هنا فإن التخفيف والاختصار هما عنوان الاختلاس بخلاف كثرة الاستعمال فلا وجود له هنا كما يقول أحد الباحثين : " أما التخفيف والاختصار فهما حاصلان بتقصير المقطع ، وأما كثرة الاستعمال فلا نعتقدها علة لهذه الظاهرة ، لأن كثرة استعمال صيغة ما وقلته أمران نسبيان . وكثيرًا ما كانت (كثرة الاستعمال) تكأة اللغويين عندما يعجزون عن التعليل " [(١)] .

وقد ظهر الاختلاس في العربية تعبيرًا عن واقع ملموس لحال بعض اللهجات العربية وهي :

أ- قيس وأسد كما أشار سيبويه بقوله : " وقد دعاهم حذف ياء يقضِي إلى أنْ حَذَف ناس كثير من قيس وأسد الياء والواو اللتين هما علامة المضمر " [(٢)] .

ب- هوازن وقيس كما أشار الفراء بقوله : " وقد تُسقط العرب الواو وهي واو جِمَاع ، اكتُفِي بالضمة قبلها فقالوا في ضربوا : قد ضَرَبُ ، وفي قالوا : قد قالُ ذلك ، وهي في هوازن وعليا قيس ... وتفعل ذلك في ياء التأنيث ... يحذفون ياء التأنيث وهي دليل على الأنثى اكتفاء بالكسرة " [(٣)] .

---

(١) الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث د. الموافي الرفاعي البيلي ص ٢١٢.

(٢) الكتاب ٢١١/٤ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٩١/١ .

جـ- أزد السراة كما ذكر ابن جني عند تعليقه على الياء اللاحقة بعد الهاء في ﴿ هَـٰذِهِۦ هِي سَبِيلِيٓ ﴾ [(١)] ونحوه فزائدة كما ذكر أبو الحسن : " ... ومنهم من يدعها على سكونها في الوصل كما يسكِّنها عند الوقف عليها ، كما أن منهم من يسكن الهاء المضمرة إذا وصلها فيقول : مررت بِهْ أمس ، وذكر أبو الحسن أنها لغة لأزْد السَّراة ..." [(٢)] .

د- هذيل كما أشار الجوهري بقوله : " وقرئ : (يوم يَأْتِ) بحذف الياء ، كما قالوا : لا أدرِ ، وهي لغة هذيل " [(٣)] .

هـ- بنو كلاب وعقيل كما أشار أبو حيان والصبان ، فيقول الأول : " والاختلاس وتسكين الهاء عند سيبويه ضرورة وحكا هما الكسائي عن بني كلاب وبني عقيل تقول : لَهْ وبهْ ولهْ وبهْ ، وقرأ أبو جعفر : " بِهْ " ، ويعقوب " بيده " بالاختلاس على هذه اللغة " [(٤)] .

ويقول الثاني : " وقد تسكن أو تختلس حركتها بعد متحرك عند بني عقيل وبني كلاب اختياراً فيقولون : له بالإسكان والاختلاس ، وعند غيرهم اضطراراً " [(٥)] .

---

(١) سورة يوسف من الآية (١٠٨) .

(٢) المحتسب ٢٤٤/١ وانظر : الخصائص ١٢٩/١، ٣٧١ ، ولسان العرب (مطا) ٤٢٢٧/٦ .

(٣) الصحاح (أتي) ٢٢٦٢/٦ .

(٤) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان ٤٦٧/١ . وانظر : الكتاب ٢٠٢/٤ .

(٥) حاشية الصبان ١١٠/١ .

الإشباع و الاختلاس والضرورة الشعرية :

يُعْرِب المؤلّف عن رأيه في قضية الإشباع والاختلاس فيري أنهما من عوامل الضرورة الشعرية ، ولا تتحقق قضية الإشباع عنده في النثر إلا من خلال الضمير " أنا " التي هي ضمير المتكلم المرفوع إذا كان بعدها همزة ، فيقول عن الإشباع : " وباب ذلك كله ضرورة الشعر ، وأما فصيح الكلام فلم يأت إلا في " أنا " التي هي ضمير المتكلم المرفوع إذا كان بعدها همزة ، نحو : " أنا أُحيي " [١] و " أنا أخرج " و " أنا إذًا أكرمك " وهي قراءة نافع بن أبي نعيم ، على خلاف عنه في المكسورة ، وأما مع غير الهمزة فلا تمد إلا في الضرورة ، كقوله :

وَكَيْفَ أَنَا وانْتِحالِ القوافي بَعْدَ المَشِيبِ كَفى ذاكَ عَارا [٢] .

وكقول الآخر :

أنا سيف العشيرة فاعرفوني حميداً قد تذريت السناما [٣] .

---

(١) سورة البقرة من الآية (١٥٨) . وانظر : المنصف ٩/١ .

(٢) البيت للأعشى وهو في ديوانه . تحقيق د. محمد محمد حسين ص ٥٣. القاهرة . وانظر : شرح المفصل ٤٥/٤ ، ولسان العرب (نحل) ٤٣٦٩/٦ والأصل : وانتحالي .

(٣) البيت لحميدين ثور الهلالي وهو في ديوانه تحقيق عبد العزيز الميمني ص ١٣٣- القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥١م . وانظر : المنصف ١٠/١ ، والمقرب ٢٤٦/١ ، وشرح المفصل ٩٣/٣، ٨٤/٩ . وتذريت : علوت .

وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [1]، ﴿ فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [2] ، ﴿ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ [3] لأنَّهم جعلوها من باب إشباع الفتحة وتولُّد الألف عنها ، والصحيح أن الألف في رؤوس هذه الآي كالألف في القوافي ، وهو باب آخر يذكر بعد هذا إن شاء الله " .

وعن الاختلاس يقول المؤلِّف بعد ذكر بعض الكلمات التي اتصل بها هاء الغائب : " والهاء الأصل في الجميع ، بدليل أنها تحذف الواو والألف والياء في الضرورة إذا كان قبلها متحرك ، وتبقي الهاء بحركاتها " [4] .

ولنا مع هذه النصوص وجه اتفاق وآخر اختلاف ، وتبيان ذلك على النحو التالي :

١. وجه الاتفاق :

من خلال النصين السابقين نلاحظ أن المؤلِّف مع الضرورة الشعرية في إقامة ظاهرتي الإشباع والاختلاس ، فأما عن :-

أ. الإشباع :

فقد تحقَّق عند المؤلِّف من خلال :

---

(١) سورة الأحزاب من الآية (١٠) .

(٢) سورة الأحزاب من الآية (٦٧) .

(٣) سورة الأحزاب من الآية (٦٦) .

(٤) رصف المباني ص ١٣ ، ١٤ .

١- الضرورة الشعرية :

ونحن مع المؤلِّف في أنَّ هذه الظاهرة يؤتي بها من أجل ضرورة إقامة الوزن الشعري كما ذكر ذلك في جميع الأبيات الشعرية الخاصة بهذه الظاهرة ، ويؤكد ذلك ما ورد على ألسنة علماء اللغة ، حيث يقول ابن جني : " وقد أجرت العرب كثيراً من ألفاظها في الوصل على حد ما تكون عليه في الوقف ، وأكثر ما يجئ ذلك ضرورة الشعر " [١] .

ويقول في موضع آخر عن حروف الإشباع : " أنهن توابع للحركات ومُتَنَشِّئة عنها ، وأن الحركات أوائل لها وأجزاء منها ، وأن الألف فتحة مُشْبَعة ، والياء كسرة مشبعة ، والواو ضمة مشبعة . يؤكد ذلك عندك أيضاً أن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ الحرف ، فتشبع الفتحة ، فيتولد بعدها ألف ، وتُشبع الكسرة ، فتتولد بعدها ياء ، وتُشبع الضمة فتتولد بعدها واو " [٢] .

---

(١) المنصف ١/١٠ .

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٣٣ .

٢. النثر :

وخَصَّه المؤلِّف بضمير المتكلم المرفوع " أنا " إذا كان بعدها همزة ، واستدل بقراءة نافع بن أبي نعيم : " أنا أحيي " بإثبات الألف وصلاً ووقفاً بخلاف سائر القراء فعلى حذفها وصلاً (١) ، ونحن معه في تحقق الإشباع في هذه الصورة .

فالألف في ضمير المتكلم المرفوع " أنا " كانت محور اختلاف بين البصريين والكوفيين ، حيث يرى البصريون أنها زائدة ، بخلاف الكوفيين فيرون أنها من أصل الكلمة .

وقد عرض ابن يعيش لكلا الرأيين بقوله : " فالألف والنون هو الاسم عند البصريين والألف الأخيرة أتي بها في الوقف لبيان الحركة ، فهي كالهاء في اغزه وارمه ، وإذا وصلت حذفتها كما تحذف الهاء في الوصل ، وذهب الكوفيون إلى أنها لكما لها هي الاسم ... وقد كثر ذلك عنهم ، حتى قال الكوفيون إنها من الكلمة وليست زائدة " (٢) .

وابن جني مع رأي البصريين في أن الألف هنا زائدة ، وليست بأصلية ، حيث يقول : " فأما الألف في " أنا " في الوقف فزائدة ،

---

(١) انظر : السبعة ص ١٨٨ ، وحجة القراءات ص ١٤٢ ، والعنوان في القراءات السبع لإسماعيل ابن خلف الأنصاري . حققه . د . زهير زاهد و د . خليل العطية ص ٧٥ – عالم الكتب – الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م ، وإملاء مَا مَنَّ به الرحمن ١ / ١٠٨ ، والبحر المحيط ٦٢٧/٢ ، والنشر ٢٣١/٢ .

(٢) شرح المفصل ٩٢/٣ ، ٨٤/٩ .

وليست بأصل ، ولم نقض بذلك فيها من قبيل الاشتقاق ، هذا محال في الأسماء المضمرة ؛ لأنها مبنية كالحروف ، ولكن قضيناً بزيادتها من حيث كان الوصل يذيلها ويذهبها ، كما يذهب الهاء التي تلحق لبيان الحركة في الوقف ، ألا ترى أنك تقول في الوصل : أنا زيد " كما قال تعالى : " إني أنا ربك " تكتب في الوقف بألف بعد النون ، وليست الألف في اللفظ ، وإنما كتبت على الوقف ، فصار سقوط الألف في الوصل كسقوط الهاء التي تلحق في الوقف لبيان الحركة في الوصل " [١] .

إذًا فعلى رأي البصريين تثبت الألف وقفاً ، وتحذف وصلاً [٢] ، وهي اللغة الفصحى ولغة أهل الحجاز كما قال السيوطي [٣] ، وعلى رأي الكوفيين تثبت وصلاً ووقفاً ، وهي لغة تميم [٤] .

والحق أن البصريين قد جانبهم الصواب عندما قالوا بزيادتها ، لأن الزائد هو مالا يلفظ به لا وصلاً ولا وقفاً ، والألف اللينة هنا ليست كذلك لثبوتها في " أنا " وقفاً لجميع القراء ، ولا شك أن الرسم مبنى على الوقف والابتداء ، فلما ثبتت لم تكن زائدة ، ومما يقوى هذا احتفاظ لهجة تميم بالألف في حالتي الوصل والو قف [٥] .

---

(١) المنصف ٩/١ . وانظر شرح المفصل ٨٤/٩ .
(٢) حاشية الصبان ١١٤/١ .
(٣) همع الهوامع ٦٠/١ .
(٤) السابق ٦٠/١ . وانظر : البحر المحيط ٦٢٨/٢ ، والدرر اللوامع على همع الهوامع ٣٥/١ .
(٥) اللهجات العربية في التراث ٢/ ٥٠ .

ب. الاختلاس :

ونحن مع المؤلِّف أيضاً في أن قضية الاختلاس يؤتي بها من أجل ضرورة إقامة الوزن الشعري ، حيث سلك هذا الاتجاه كثير من كبار علماء اللغة أمثال سيبويه والمبرد وابن جني ، حيث ذكر سيبويه في " باب ما يحتمل الشعر " قوله : " واعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام من صرف ما لا ينصرف ، يشبِّهونه بما ينصرف من الأسماء ، لأنها أسماء كما أنها أسماء ، وحذف مالا يحذف ، يشبهونه بما قد حُذف واستعمل محذوفاً " (١) .

وكذلك يقول المبرد : " واعلم أن الشاعر إذا احتاج إلى الوزن وقبل الهاء حرف متحرّك ، حذف الياء والواو اللتين بعد الهاء ، إذ لم يكونا من أصل الكلمة ... وأشد من هذا في الضرورة أن يحذف الحركة " (٢) .

ويقول ابن جني : " وأما قول الشماخ :

له زَجلٌ كأنه صوت حا ... إذا طلب الوسيقة أو زمير

---

(١) الكتاب ٢٦/١ .

(٢) المقتضب ١٧٦/١، ١٧٧ .

فليس هذا لغتين ، لأنا لا نعلم رواية حذف هذه الواو وإبقاء الضمة قبلها لغة ، ينبغي أن يكون ذلك ضرورة وصنعة ، لا مذهباً ولغة ، وكذلك يجب عندي وينبغي ألاَّ يكون لغة ، لضعفه في القياس . ووجه ضعفه أنه ليس على مذهب الوصل ، ولا مذهب الوقف . أما الوصل فيجب إثبات واوه كلقيت هو أمسِ . وأما الوقف فيوجب الإسكان كلقيته وكلمته ؛ فيجب أن يكون ذلك ضرورة للوزن ، لا لغة "[1] .

---

(١) الخصائص ٣٧٢/١ .

٢- وجه الخلاف :

وأما عن وجه الخلاف بيننا وبين المؤلِّف فيبدو في أن ظاهرتي الإشباع والاختلاس وإن كانتا في غالب الأحيان تُعَدُّ الضرورة الشعرية هي العنوان البارز لكليهما ، إلا أنهما يأتيان في النثر أيضاً وإن كانا دون الشعر ، وذلك بدليل :

أ – ورد كثير من القراءات سبعية وغير سبعية بهما ، وفيما يلي عرض بعض النماذج الدالة على ذلك .

– اقتده في قوله تعالى : ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [1]، حيث قرأ ابن عامر وابن ذكران (اقتد هي) وصلاً ، وهشام وابن عباس (اقتدِه) وصلاً ، باختلاس الكسرة في الهاء وصلاً وسكونها وقفاً [2] .

– ترزقانه في قوله تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ ﴾ [3]، حيث قرأ قالون من طريقيه ، وابن وردان ، بخلف عنهما باختلاس كسرة الهاء ، والباقون بالإشباع [4] .

– يرضه في قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [5]، حيث قرأ بإشباع الهاء أبو عمرو والكسائي وابن كثير وابن عامر ونافع

---

(١) سورة الأنعام من الآية (٩٠) .

(٢) انظر : الكشف ٤٣٨/١ ، ٤٣٩ ، والتيسير صـ ٨٦ ، والعنوان في القراءات السبع صـ ٩٢، والمحرر الوجيز ١٠٣/٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٥٨/٣ ، والبحر المحيط ٥٧٨/٤ ، والدر المصون ١١٧/٣ ، والنشر ١٤٢/٢، وإتحاف فضلا البشر ٢١/١ .

(٣) سورة يوسف من الآية (٣٧) .

(٤) انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٤٧/٢ .

(٥) سورة الزمر من الآية (٧) .

وابن ذكوان وابن وردان والدوري وابن جماز وخلف وابن مُحَيصن واليزيدي وورش وابن سعدان والمسيب ، وباختلاس ضمة الهاء قرأ نافع وحفص عن عاصم وحمزة ويعقوب وهشام بخلاف عنه [(١)] .

– سأوريكم في قوله تعالى : ﴿ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [(٢)]

– بواو ساكنة بعد الهمزة – على قراءة الحسن [(٣)] .

– أفئيدة في قوله تعالى : ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [(٤)] بياء بعد الهمزة – على قراءة ابن عامر وهشام والحلواني [(٥)] .

متكاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا ﴾ [(٦)] – بالمد والهمز – على قراءة الحسن وابن هرمز [(٧)] .

وقد تعرضت بعض القراءات السابقة وما يشبهها للطعن من جانب النحاة ، ومن ذلك ما ذكره الزجاج عن القراءة بإسكان الهاء في

---

(١) انظر : السبعة في القراءات صـ ٥٦٠، ٥٦١ ، والكشف ٢٣٦/٢ ، وحجة القراءات صـ ٦١٩ ، والتيسير صـ ١٥٣ ، والكشاف ٣٨٩/٣ ، ومفاتيح الغيب ٣٩١/٢٦ ، والبحر المحيط ٩ / ١٨٧، والجامع لأحكام القرآن ٥٨٨٠/٨ ، والنشر ٣٠٨/١، ٣٠٩ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ٤٢٧ .

(٢) سورة الأعراف من الآية (١٤٥).

(٣) انظر : المحتسب ٢٥٩/١ ، والمحرر الوجيز ٧ / ١٦٠ ، والبحر الميحط ١٧٢/٥، ١٧٣ . والدر المصون ٣ / ٣٤١ .

(٤) سورة إبراهيم من الآية (٣٧) .

(٥) انظر : التيسير صـ ١٣٥ ، والمحرر الوجيز٩٣/١٠ ، والبحر المحيط ٤٤٧/٦ ، والنشر ٢٩٩/٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ١٧٠ .

(٦) سورة يوسف من الآية (٣١) .

(٧) انظر : المحتسب ٣٤٠/١ ، والمحرر الوجيز ٩ / ٢٨٩ .

(فألقه) في قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾[1] فيقول : " ومن أسكن الهاء فغالط ، لأن الهاء ليست بمجزومة ولها وجه من القياس ، وهو أن يُجْري الهاء في الوصل على حالها في الوقف ، وأكثر ما يقع هذا في الشعر أن تحذف هذه الهاء وتُبقي كسرة .

قال الشاعر :

فإنْ يكُ غثًّا أو سميناً فإنني   سأجعل عينيه لنفسه مَقْنَعا "[2] .

وذكر القاضي أبو محمد عن قراءة (اقتده) – بإشباع الياء بعد الهاء – وهذا ضعيف ، ولا تجوز عليه القراءة بإشباع الياء[3] .

وكذلك ذكر أبو حيان تعليق أبي حاتم على قراءة مَنْ قرأ (يَرْضَهْ) بإسكان الهاء – فقال : هو غلط لا يجوز[4] .

وردَّ عليه بأنه ليس بغلط ، بل ذلك لغة لبني كلاب وبني عقيل .

والحقيقة أن بعض النجاة قد طعن في تلك القراءات ومنها ما رُوِي عن أحد القراء السبعة بحجة أنها لا توافق قياسهم ، وليس من

---

(١) سورة النمل من الآية (٢٨) .
(٢) معاني القرآن ، وإعرابه ١١٧/٤.
(٣) المحرر الوجيز ١٠٣/٦ .
(٤) البحر المحيط ٩ / ١٧٨ ، وانظر : روح المعاني ٢٣/ ٢٤٤ .

الصواب رفض القراءة أو الطعن فيها بناء على عدم موافقتها لقياس النحاة ؛ لأن القرآن يقاس عليه ، ولا يقاس هو على شيء .

ب- يحمل الإشباع دلالات معنوية كثيرة منها التذكر والإنكار كما مضى .

جـ- تأتي ظاهرتي الإشباع والاختلاس كتمثيل صادق لإحدى اللهجات العربية ، فالإشباع كما سبق تمثيل للغة أهل الحجاز واليمن وبعض بني سليم ، وربيعة وقيس ، إضافة إلى تميم وطيئ ، بينما يمثل الإشباع اللهجات الخاصة بقبيلة قيس وأسد وهوازن وأسد السراة وبني كلاب وعقيل .حيث يُعَلِّق ابن الجزري على إشباع الضمة وتولُّدا لواو منها ، وإشباع الكسرة وتولُّد الياء منها ، وإشباع الفتحة وتولُّد الألف منها فيقول هذا " على لغة المشبعين من العرب الذين يقولون : الدراهيم والصياريف ، وليس ضرورة بل لغة مستعملة" [١] .

وفي النهاية فإن وضوح تلك الشواهد الخاصة بظاهرتي الإشباع والاختلاس تأكيد على وجود هاتين الظاهرتين شعراً ونثراً وإن كانت الثانية دون الأولى ، حيث يقول ابن جني عن الإشباع : " ولعمرى إن هذا مما تختص به ضرورة الشعر وقلما تجيء في النثر " [٢] .

---

(١) النشر ٢ /٢٩٩ .
(٢) المحتسب ٣٤٠/١ .

ويؤكد على ذلك في موضع آخر فيقول : " وقد جاء من هذا الإشباع الذي تنشأ عنه الحروف شيء صالح نثراً ونظماً ، فمن المنثور قولهم : بينا زيد قائم جاء عمرو ، إنما يراد بين أوقات زيد قائم جاء فلان ، فأشبع الفتحة ، فأنشأ عنها ألفاً ... وروى الفراء عن بعضهم أنه سمعه يقول : أكلت لحما شاة ، وهو يريد لحم شاة ، فأشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفاً ... ومنه المسموع عنهم في الصياريف والدراهيم ... كما يقولون في الوقف : قالا ، يريدون : قال ، ثم يمطلون الفتحة فتنشأ عنها الألف ، وهذا المطل لا يكون مع الإسراع والاستحثاث إنما يكون مع الروية والتثبت [1] "

وتأكيداً لتلك الحقيقة أشار الفراء عند تعليقه على الياء في لفظة " اخشوني " في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي ﴾ [2] :

" أثبتت فيها الياء ولم تثبت في غيرها ، وكلّ ذلك صواب ، وإنما استجازوا حذف الياء ، لأن كسرة النون تدل عليها ، وليست تَهَيَّبُ العرب حذف الياء من آخر الكلام إذا كان قبلها مكسورًا ، من ذلك :

---

(١) السابق ٢٥٨/١ .

(٢) سورة البقرة من الآية (١٥٠) .

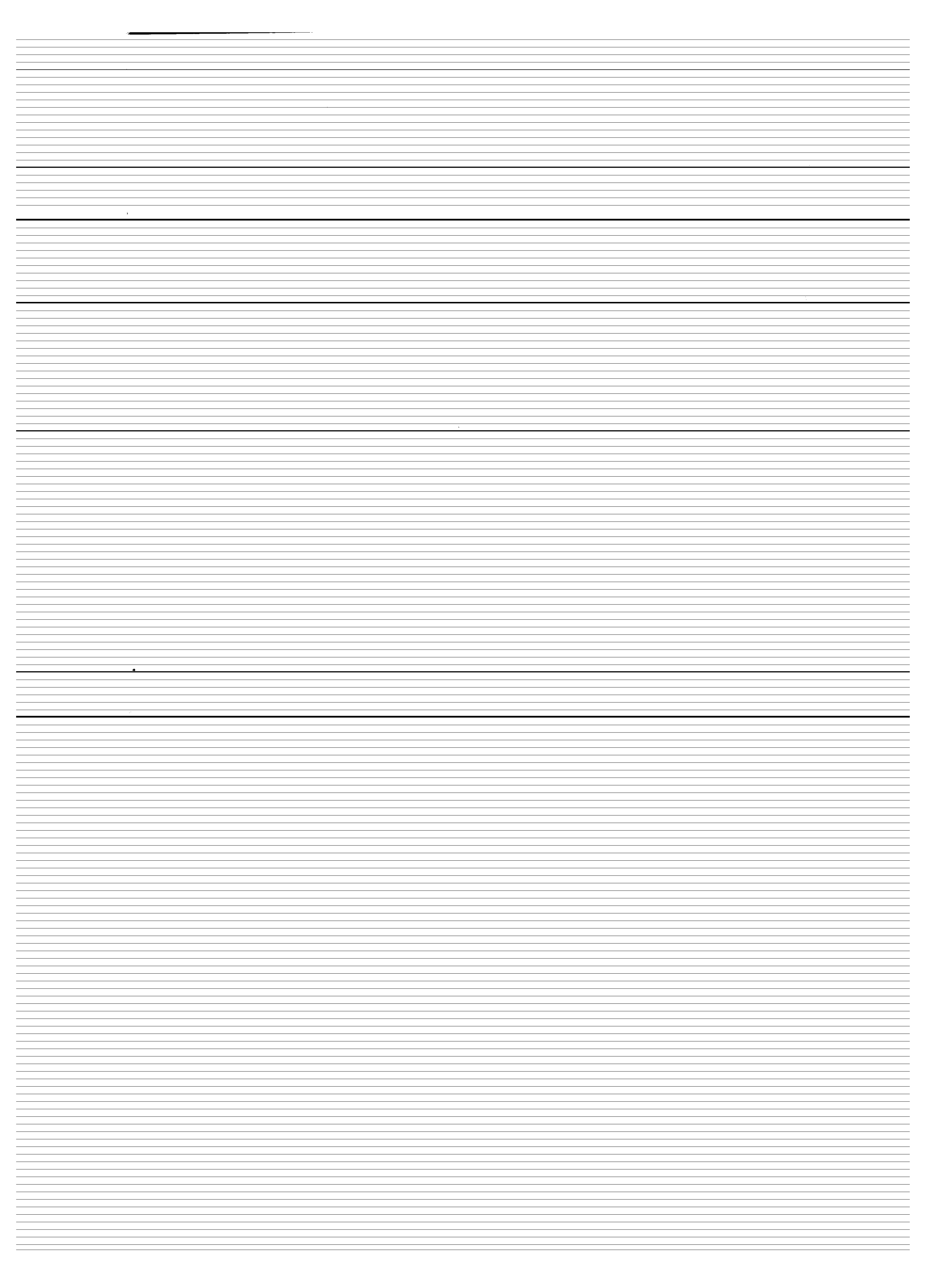
﴿ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴾ و ﴿ أَهَـٰنَنِ ﴾ في سـورة الفجـر [١] ، وقـوله : ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ﴾ [٢] ، ومـن غـير الـنون ﴿ ٱلْمُنَادِ ﴾ [٣] ، و ﴿ ٱلدَّاعِ ﴾ [٤] ، وهـو كـثير ، يكتفـي مـن الياء بكسرة قبلها ، ومن الواو بضـمة قـبلها ؛ مـثل قـوله : ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [٥] ، ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ [٦] وما أشبهه ، وقد تسقط العرب الـواو وهـي واو جماع ، اكتُفـى بالضمة قبلها ، فقالوا في ضربوا : قد ضَرَبُ ، وفي قالوا : قد قالُ ذلك ، وهـي في هوازن وعليا قيس ... وتفعل ذلك في ياء التأنيث ... يحذفون ياء التأنيث وهي دليل على الأنثى اكتفاء بالكسرة [٧] " .

فهـذه أدلـة قاطعـة مـن قـراءات القـرآن الكـريم الـذي هـو مرآة صافية للهجات العربية ... ولا ضرورة في القرآن [٨] .

---

(١) سورة الفجر من الآية (١٥ ، ١٦) .
(٢) سورة النمل من الآية (٣٦) .
(٣) سورة ق من الآية (٤١) .
(٤) سورة القمر من الآية (٦ ، ٨) .
(٥) سورة العلق من الآية (١٨) .
(٦) سورة الإسراء من الآية (١١) .
(٧) معاني القرآن للفراء ١/٩٠ ، ٩١ .
(٨) اللهجات العربية في التراث ٢/٦٨٩ .


المبحث الرابع
المماثلة والمخالفة



المماثلة والمخالفة

ظهرت قضية المماثلة في اللغة العربية كإحدى القضايا التي تهدف إلى التيسير في النطق والاقتصاد في الجهد العضلة والانسجام بين أصوات اللغة ، وذلك عن طريق محاولة التقارب بين مخارج أو صفات الأصوات العربية .

حيث يقول الدكتور / إبراهيم أنيس : " والأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينهما ، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج ، ويمكن أن يسمى هذا التأثر بالانسجام بين أصوات اللغة " (١) .

إذاً قد تتحول مخارج أحد الأصوات أو صفته إلى مخرج أو صفة صوت آخر تحقيقا لذلك سواء بين الصوامت أو الحركات – " ولا ريب أن الاقتصاد في الجهد الفصلي هدف مقصود للناطقين باللغة ، فإذا تواءمت الأصوات المتجاورة مخرجاً وصفة سهل نطقها وتحققت لها السلاسة والانسجام فلا يتناول التغير شيئاً منها ، أما إذا كانت متنافرة في ذلك فإن جهاز النطق يتعثر في التفوه بها ، وهنا يلزم نوع من التغير في بعض تلك الأصوات ليمكن النطق بها دون معاناة أو نفور . فإذا كان النطق بالمتجاورين أمرًا صعبًا يستلزم جهداً كبيرًا لجأ

---

(١) الأصوات اللغوية ص ١٨٠ .

صاحب اللغة إلى الطريق المؤدية إلى السهولة بتغيير أحدهما حتى ينسجم مع صاحبه ويسمى ذلك بالمماثلة " (١) .

إذاً فالمماثلة تعني " تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلاً كليًا أو جزئياً (٢) .

وإذا كان التعبير بمصطلح " المماثلة " لدي اللغويين المحدثين يعني تحويل الأصوات المتخالفة إلى متماثلة ، فإنه يعني عند القدامى عدة مصطلحات هي : الإبدال ، والمضارعة ، والإتباع ، والإمالة ، والإدغام (٣) .

ولاشك أن ظاهرة " الإدغام أو تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، ظاهرة صوتية تحدث كثيراً في البيئات البدوية ، حيث السرعة في نطق الكلمات ومزجها بعضها ببعض ، فلا يعطى الحرف حقه الصوتي من تحقيق أو تجويد في النطق به " (٤) .

---

(١) أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار حامد هلال صـ ٢٧٦ – الطبعة الثانية – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

(٢) دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر صـ ٣٨٧.

(٣) انظر : الكتاب ١٧/٤، ١٠٩، ٤٣٢، ٤٦٧، ٤٧٧، ٤٧٨، وشرح المفصل ٤٦/٩، ٤٧، ٥٤، ٥٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٢١/١٠، ١٥٣، وشرح الرضي على شافية ابن الحاجب ٣/ ٤ ، ٢٣٢، ٢٣٣ .

(٤) في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس صـ ٧١ .

وأما المخالفة فهي : " تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور ، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين " (١) .

وهذا يعني أن قانون المخالفة " يعمد إلى صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات ، فيغير أحدهما إلى صوت أخر يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة ، أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة وهي اللام والميم والنون والراء (٢) .

ولتوضيح صورة المماثلة والمخالفة نعرض ما قدمه الدكتور / إبراهيم أنيس عندما قال : " فحين نصوغ " افتعل " من الفعل " ظَلَمَ " نلحظ أن " اظتلم " قد تجاورت فيها الظاء والتاء ، وهما مختلفان في الجهر والهمس ، والشدة والرخاوة ، والإطباق ، والاستقال ، فقربت مسافة الخلف بينهما لتيسير النطق ، وأصبح الفعل " اظطلم " ثم زاد التيسير حين اتحد الصوتان المتجاوران تمام الاتحاد ، وأصبح الفعل (اظلَم) وهكذا تماثل الصوتان ، وهو أقصى

(١) دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ص ٣٣٠.

(٢) التطور اللغوي " مظاهره وعلله " د. رمضان عبد التواب ص ٥٧ مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط ٣ – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، وانظر : الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ٢١٢، ولحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة د. عبد العزيز مطر ص ٤١ – دار المعارف – الطبعة الثانية – ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

ما يصل إليه التيسير في عملية المماثلة ، فإذا افترضنا أن أحد العرب نطق بهذا الفعل على صورة جديدة وهي " انظلم " لا يعدو الأمر أنه قد لجأ إلى عملية المخالفة ليخالف بين الظائين المتجاورين بأن استبدل بإحداهما " نوناً " ليزيد النطق تيسيراً " (١) .

المماثلة والمخالفة في رصف المباني

عن طريق نماذج ثلاثة ظهرت قضية المماثلة والمخالفة في كتاب " رصف المباني " على النحو التالي :

أولاً : المماثلة بين الصوامت

ذكر المؤلِّف في باب " الميم المفردة " نموذجاً واضحاً لتطبيق صورة التماثل بين الصوامت في العربية ، حيث يقول : " القسم التي هي فيه بدل من أصل لها في الكلام ثلاثة مواضع :

---

(١) الأصوات اللغوية ص ٢١٣ .

الموضع الأول :

أن تكون بدلاً من التنوين إذا التقى مع الباء في كلمة أخرى نحو قولك : ﴿ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (١) و ﴿ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٢) و ﴿ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ (٣) وشبه ذلك ، سواء كان التوين في مرفوع أو منصوب أو مخفوض ، كان لما كان من وجوهه المذكورة في باب النون ، لا خلاف في هذا بين العرب والقُرَّاء . وإنما أبدل التنوين ميماً في هذا الموضع لكون النون بعيدة من الباء في المخرج ، فلم يمكنهم إدغامها فأبدلوها إلى حرف لا يُدْغَم فيها مراعاة لها وَيقْرُب منها في المخرج ، إذ هما من الشفتين فصارت حالة بين حالتين لضرب من التخفيف ، فإذا أبدلوها ميماً لذلك ، فلا يصح إدغامها في الباء لذهاب الغُنَّة ولكن تكون ظاهرة ميماً خالصة فيها غنة ، لأنها أخت النون فيها ، ولذلك خُصَّت بالبدل منها ، فينبغي أن ينطق بها ميماً بغنة ، كما ينطق بها ساكنة واحدة ، ولابد من إظهار الجَهْرة في الباء مع ذلك إذ هي حرف مجهور ، وإنما نَبَّهْتُ على هذا لأني رأيت بعض منتحلي القراءة والعلم بها يقرأها مُدغمة في الباء ولا يُبْقى لها غُنَّة ، وهو خطأ لما ذكرت لك فتفهَّمه .

---

(١) سورة الأنفال الآية (٤٣) .
(٢) سورة البقرة من الآية (١٥) .
(٣) سورة المائدة من الآية (٧١) .

الموضع الثاني :

أن تكن بدلاً من النون في نفس الكلمة أو في آخرها إذا اتصلت بها باء أيضاً في نفس الكلمة أو من كلمة أخرى ، فالتي في نفس الكلمة نحو عَمْبر في عَنْبر ، وشَمْباء في شَنْباء [١] ، قال تعالى : ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ ﴾ [٢] وأصله : الأنباء ، فقلبت النون ميماً مع الباء للعلة المذكورة في التنوين منها في الموضع قبل هذا ، والتي في آخر الكلمة مع الباء من كلمة أخرى نحو : مِنْ بعد ، ومِنْ بعيد ، تقول : مم بعد ، ومم بعيد ، وكذلك تقول في النون الخفيفة مع الباء نحو : لا تضرب بكراً (تقول) لا يضربنْ بكراً ، قال الله تعالى : ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ [٣] و ﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ [٤] " ، فلا خلاف أيضاً في هذا بين العرب والقُرّاء كالتنوين المذكور قبل ، والعلة المذكورة في الموضعين واحدة ، فتفهمْهَا تُصِب بحول الله [٥] " .

---

(١) الشنباء : العذبة الفم . لسان العرب (شنب) ٤ / ٢٣٣٦ .

(٢) سورة القصص من الآية (٦٦) .

(٣) سورة البينة من الآية (٤) .

(٤) سورة العلق آية (١٥) .

(٥) رصف المباني ص ٣٠٨، ٣٠٩ .

التعليق :

عن طريق التقاء صوت النون الساكنة أو التنوين مع صوت الباء والإبدال ميماً ظهرت صورة التماثل في النص السابق ، والعلة في ذلك كما يقول مكي بن أبي طالب : " إن الميم مواخية للباء لأنها من مخرجها ، ومشاركة لها في الجهر والشدة . وهي أيضًا مواخية للنون في الغنة والجهر . فلما وقعت النون قبل الباء ، ولم يمكن إدغامها فيها لبعد المخرجين ، ولا أن تكون ظاهرة لشبهها بأخت الباء وهي الميم ، أبدلتا منها ميماً لمؤاخاتها النون والباء [1] " .

إذاً فالقلب هنا قد أفقد النون مخرجها ، ولكنه لم يفقدها صفتها الأنفية ، ومن ثم فقد تمَّ التأثير هنا بناء على الاشتراك في الصفة .

---

(١) الرعاية صـ ٢٤٠ . وهو ما اصطلح على تسميته بالإقلاب وهو : " جعل حرف مكان آخر . وقال بعضهم : هو عبارة عن قلب مع إخفاء " لمراعاة الغنة " . نهاية القول المفيد . محمد مكي نصر صـ ١٢٢ – مطبعة الحلبي – ١٣٩٤هـ .

ثانياً : المماثلة بين الحركات

عن طريق همزة الوصل واختيار الحركات المناسبة لها في الكلمات العربية ظهر أثر هذا التماثل بجلاء ووضوح ، وذلك في الباب الذي عقده المؤلِّف للهمزة ومعانيها ومواضعها في كلام العرب .

وقد قدَّم المؤلِّف لذلك بتعريف همزة الوصل ، " وهي التي يؤتي بها للتوصل للنطق الساكن في ابتداء الكلمة "[1] .

وهذا من الأمور البدهية في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات الأخرى طبقاً للقاعدة المعروفة والتي نص عليها علماء العربية " وهي أنه لا يجوز الابتداء بالساكن " فكان لابد من وجود ما يرجح هذا الابتداء ، فكان الإتيان بهمزة تسمى بهمزة الوصل .

وقد ظهر للمؤلِّف في هذا الباب عدة آراء وجيهة تستحق التنبيه عليها قبل الحديث عن صورة التماثل وهي :

أ- الاختلاف في المصطلح

أبدى المؤلِّف رأيه بجلاء ووضوح في ترجيحه التسمية بمصطلح " همزة الوصل " ، والذي كان محور اختلاف بين العلماء هل يسمى بألف الوصل أو همزة الوصل ، فمنهم من اصطلح على تسميته بألف الوصل ، ومنهم من أطلق عليه همزة الوصل ، ومنهم من

---

(١) رصف المباني ص ٣٨ . وانظر سر صناعة الإعراب ١٠٩/١ ، وشرح المفصل ١٣١/٩ .

خلط بين الاصطلاحين ، فتارة يطلق عليه ألف الوصل ، وتارة أخرى همزة الوصل [١] .

ولكن المؤلِّف رجَّح التسمية بمصطلح " همزة الوصل " ونحن معه في ذلك لما قدمه من حجة قوية ذكرها في كتابه عندما طرح تلك القضية بقوله : " واختلف فيها : هل يقال لها همزة أو ألف ؟ فبعضهم يسمِّيها همزة مراعاة للنطق بها وهو الأبْيَن ، ولكلا الوجهين نظر ، والأحسن أن تسمَّى بما عليه في النطق ، لأن ذلك هو معنى الهمزة " [٢] .

ب- هل هي همزة إيصال أو وصل ؟

إن المعروف لدي جمهور العلماء أن هذا الصوت الذي يتوصل به إلى النطق بالساكن هو " همزة الوصل " ؛ لأنها تسقط فيصل المتكلم ما قبلها بما بعدها كما قال الكوفيون ، أو أن المتكلم يصل بها إلى النطق بالساكن كما قال البصريون [٣] ، ولكن أبدى المؤلِّف رأيه في تلك التسمية ، ونحن معه في ذلك أيضاً ، إذ يقول : " وكان الوجه

(١) انظر : الكتاب ١ / ١٤٤ : ١٦٠ ، ومعاني القرآن للفراء ١ / ٢ ، والمقتضب ١ / ٨٠ ، ٨٥ ، والمنصف ١ / ٥٣ : ٧٩ ، وشرح المفصل ٨ / ٣٦ ، ٩ / ١٣٢ : ١٣٨ ، وشرح التصريح على التوضيح ٢ / ٣٦٤ : ٣٦٦ .

(٢) رصف المباني صـ ٣٨ .

(٣) موسوعة الحروف " إميل بديع يعقوب صـ ٤٦ – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

فيها أن يقال همزة إيصال لا وصل ؛ لأنها لا تصل ، ولكن توصل الناطق إلى النطق بالساكن بعدها ، ولكن قيل همزة وصل على غير مصدر أَوْصَل ، كما قال الله تعالى : " أنبتكم من الأرض نباتًا "(١) ، وعلى المصدر يكون " إنباتاً " كما قال الشاعر :

... ولو شئنا تعاوَدْنا عِوادا (٢) .

وكان القياس على المصدر : تعاوداً ومعاودةً ، وذلك جائز كثير (٣) " .

وأما عن تحقيق صورة التماثل بين الحركات في هذا الباب فيتضح من النص التالي : " وهذه الهمزة التي للوصل تكون أبدًا مكسورة على أصل التقاء الساكنين سواء كان ثالث الفعل مفتوحًا أو مكسورًا ، نحو : اعلم واضرب ، ويجوز ضُمها ، إلا أنه إذا كان ثالث الكلمة مضموماً ضمًّا لازماً نحو : " اقتل " تتبع الهمزة الثالث .

---

(١) سورة نوح من الآية (١٧) .

(٢) البيت لشقيق ابن جَزْء كما في فرحة الأديب (عن هامش الخصائص ٣١١/٢) وصدره :

بما لَمْ تشكروا المعروفَ عندي

الخصائص ٣٠٩/٢ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٤١٦- مصر ١٣٥٠هـ . وقد شرحه بقوله : " كان هجراني لكم لأنكم كفرتم بالإحسان ، فإن شئتم أن أعود إلى الإحسان فعودوا إلى الشكر".

(٣) رصف المباني ص ٣٨ ، ٣٩ .

فإن كان الضم غير لازم لم تضمّ ، وبقيت الهمزة مكسورة نحو : اِمشُوا واقِضُوا ؛ لأن الأصل امشِيُوا واقضِيُوا ، فحذفت الياء استثقالاً ، وتتبع ما قبل الواوِ الواوَ .

كما أنه إذا كان الكسر عارضًا وكان الضمُّ الأصلَ بقيت همزة الوصل مضمومة نحو : اُدعِي يا هند ؛ لأن الأصل أُدْعُوى ، فاستثقلت الضمة مع كسر الواو ، فأتبع ما قبلها كسرة ، وقلبت الواو ياء تخفيفًا"[1].

التعليق :

من خلال هذا النص نستنتج الآتي :

١- تكسر همزة الفعل الماضي والأمر في الابتداء سواء أكان ثالثه مكسورًا كسرًا لازمًا أم مفتوحًا .

٢- تضم همزة الفعل الماضي والأمر إذا كان ثالثه مضمومًا ضمًّا لازمًا .

٣- إذا كان كسر الثالث عارضًا ، أو ضمة كذلك ، وجب الضم في المكسور ، والكسر في المضموم .

فأما عن القاعدة الأولى والثانية وهي كسر همزة الوصل فيما ثالثة مكسورًا كسرًا لازمًا ، وضمها فيما ثالثه مضمومًا ضمًا لازمًا فتحقيقًا لنظرية التماثل بين الحركات ، لئلا يلزم الخروج من الكسر إلى الضم ،

(١) رصف المباني ص ٤٢ .

وفي ذلك ثقل ، ولا اعتداد بسكون الحرف الثاني لأنه حاجز غير حصين ، فكما يقول سيبويه : " أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد [١] " .

ويقول ابن جني عن ضم همزة المضموم الثالث : " وإنما ضموا الهمزة في هذه المواضع كراهية الخروج من كسر إلى ضم ، بناء لازمًا ، ولم يعتدوا الساكن بينهما حاجزاً ؛ لأنه غير حصيين [٢] "

ويؤكد ابن يعيش على تلك الحقيقة بقوله : " وتلك الهمزة تكون مكسورة لالتقاء الساكنين إلا أن يكون الثالث منه مضموماً فإنه يضم اتباعاً لضمته وكراهية الخروج من كسر إلى ضم والحاجز بينهما حاجز غير حصين [٣] . " .

وأما عدم تطبيق مبدأ التماثل مع مفتوح الثالث ، فالعلة فيه هي : خوف الالتباس بهمزة المضارع المبدوء بهمزة المتكلم ، فـ " الكوفيون يذهبون إلى أن همزة الوصل في الأمر تابعة لثالث المستقبل إن كان مضموماً ضممتها ، وإن كان مكسوراً كسرتها ،

---

(١) الكتاب ١٤٦/٤ .

(٢) سر صناعة الإعراب ١٣١/١ . وانظر : التكملة لأبي علي الفارسي ص ١٨٥، ١٨٦ .

(٣) شرح المفصل ٥٨/٧ . وانظر : شرح التسهيل ٤٦٦/٤ .

ولا يفعلون ذلك في المفتوحة لئلا يلتبس الأمر بإخبار المتكلم عن نفسه نحو اعلم وأعلم [(١)] " .

ويقول ابن يعيش : " وإنما لم يفتحوا همزة الوصل فيما ثالثه مفتوح نحو : أذهب ، خشية الالتباس بهمزة المضارع المبدوء بهمزة المتكلم ، فلو قلت : أذهبْ يا زيد – بفتح الهمزة – لا لتبس بقولك : أنا أذهَب [(٢)] " .

" ولا يكفى الفرق بالسكون ؛ فإن المضارع قد يسكن في موضع الرفع تخفيفاً ، كتسكين أبي عمرو " ينصركم " وأخواته " [(٣)] .

وأما عن القاعدة الثالثة وهي وجوب كسر همزة الوصل فيما ثالثة مضموماً ضماً عارضاً ؛ فلان الكسر هو الأصل في حركة العين " فكسر الهمزة هنا مراعاة لأصل حركة العين ، من غير اعتداد بما طرأ عليها من الضم " [(٤)] .

---

(١) شرح المفصل ٥٨/٧ . وانظر : الكافية في النحو لابن الحاجب . شرحها : رضي الدين الاستراباذي ٢٦٧/٢ ، ٢٦٩– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ م .

(٢) شرح المفصل ٥٨/٧ . وانظر : شرح التسهيل ٤ / ٤٦٥ .

(٣) شرح التسهيل ٤٦٥/٤ . وانظر : النشر ٢٤٣/٢ ، وإتحاف فضلا والنشر ٤٩٣/١ .

(٤) دروس التصريف د. محمد محيي الدين عبد الحميد صـ ١٢٩– المكتبة العصرية ١٤١١هـ – ١٩٩٠م . وانظر : التبيان في تصريف الأسماء د. أحمد حسن كحيل صـ ٣٠٧– مطبعة السعادة – الطبعة الرابعة – ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م .

والدليل على ذلك هذان المثالان اللذان مثّل بهما المؤلِّف لتلك الحالة وهما : " امشوا " و " اقضوا " ، فإن الأصل فيهما : اِمشِيُوا واِقضِيُوا – بكسر الشين والضاد وضم الياء فيهما – استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى ما قبلها بعد تقدير سلب حركتها ، فالتقى ساكنان ، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين . ولك أن تقول : حذفت الضمة للاستثقال ، ثم الياء لالتقاء الساكنين ، وضمت الشين لمناسبة الواو [١] .

فأما عن وجوب ضم همزة الوصل فيما ثالثة مكسورًا كسرًا عارضًا ؛ فلأن الضم هو الأصل في حركة العين [٢] ، والدليل على ذلك هذا المثال الذي مثّل به المؤلِّف لتلك الحالة وهو : (اُدعِي يا هند) فإنه يجب ضم همزته ؛ لأن أصله " ادْعُوِي " استثقلت الكسرة على الواو ، فنقلت كسرة الواو إلى الزاي ، بعد تقدير سلب حركتها ، فالتقى ساكنان ، فحذفت الواو ، ثم كسرت العين لمناسبة الياء كسرة لازمة [٣] .

---

(١) انظر : فتح المتعال على شرح القصيدة المسماة بلامية الأفعال . أحمد بن محمد الصعيدي . تحقيق ودراسة د. عادل محمد حسن ص ٣٧١ . (رسالة دكتوراه) ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .
(٢) التبيان في تصريف الأسماء ص ٣٠٧ .
(٣) انظر : سر صناعة الإعراب ١٣١/١ بتصرف يسير .

ثالثاً : المخالفة بين الصوامت

أشار المؤلِّف إلى تلك الحالة من خلال نصَّين ذكرهما في كتابه وهما :

النص الأول :

في " باب أمَّا المفتوحة المشددة " يقول المؤلِّف : " ويجوز أن تقلب ميمها الأولى ياء تخفيفاً كقوله :

رَأَتْ رَجُلاً أَيْمَا إذا الشَّمْسُ عارضت
فَيَضْحَى وأيما بالعشي فَيَخْصَرُ [١]

أراد " أما " فخفَّف [٢] "

النص الثاني :

في " باب إمَّا المكسورة المشددة " يقول المؤلِّف : " وأكثر ما تكون مكسورة الهمزة كما تقدم ، وقد جاء فتحها كما قال الشاعر :

تنفحها أمَّا شَمَال عَرِيَّة وأمَّا صَبا جنح الظلام هَبوبُ [٣]

وهكذا روي بفتح الهمزة فيها ، وقد جاء فيها قلب ميمها الأولى ياء تخفيفاً [٤] كما فُعِل بـ " أمَّا " في الباب قبل هذا ،

---

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة . وهو في ديوانه صـ ٩٤ . وروائية " أمَّا " : وانظر : الأزهية في علم الحروف صـ ١٥٧ ، ولسان العرب (ضحا) ٤ / ٢٥٦١ . يضحى : يظهر الشمس . يخصر : إذا أصابه البرد .

(٢) رصف المباني صـ ٩٩ .

(٣) نسب في خزانة الأدب ٤٣٢/٢ لأبي القمقام ، وهو في المقرب ٢٣١/١ ، والدرر ١٨٢/٢ .

(٤) وهي رواية الخزانة .

قال الشاعر :

... أيْـا إلى جَنَّةٍ أيْـا إلى نار [١]

وهو قليل من جهة ما ذكرنا ... " [٢] .

التعليق :

ظهرت قضية المخالفة في النصَّين السابقين من خلال قلب الميم الأولى ياء تخفيفاً وتيسيراً في عملية النطق ؛ " لأن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة ، ولتيسير هذا المجهود العضلي يقلب أحد الصوتين صوتًا آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب جهداً عضلياً مثل أشباه أصوات العلة " الواو والياء " ... ويعد ذلك مظهراً من مظاهر التيسير اللغوي [٣] " .

وقد تحدث عن ذلك سيبويه في باب " ما شد فأبدل مكان اللام الياء " فقال : " وذلك قولك : تسريت وتظنيت وتقصيت من القصة وأمليت " [٤]

---

(١) البيت لسعد بن قرط كما في الخزانة ٤٣١/٤ . وصدره : *يا لَيْتَما أُمُّنا شَالَتْ نعامَتُها* .

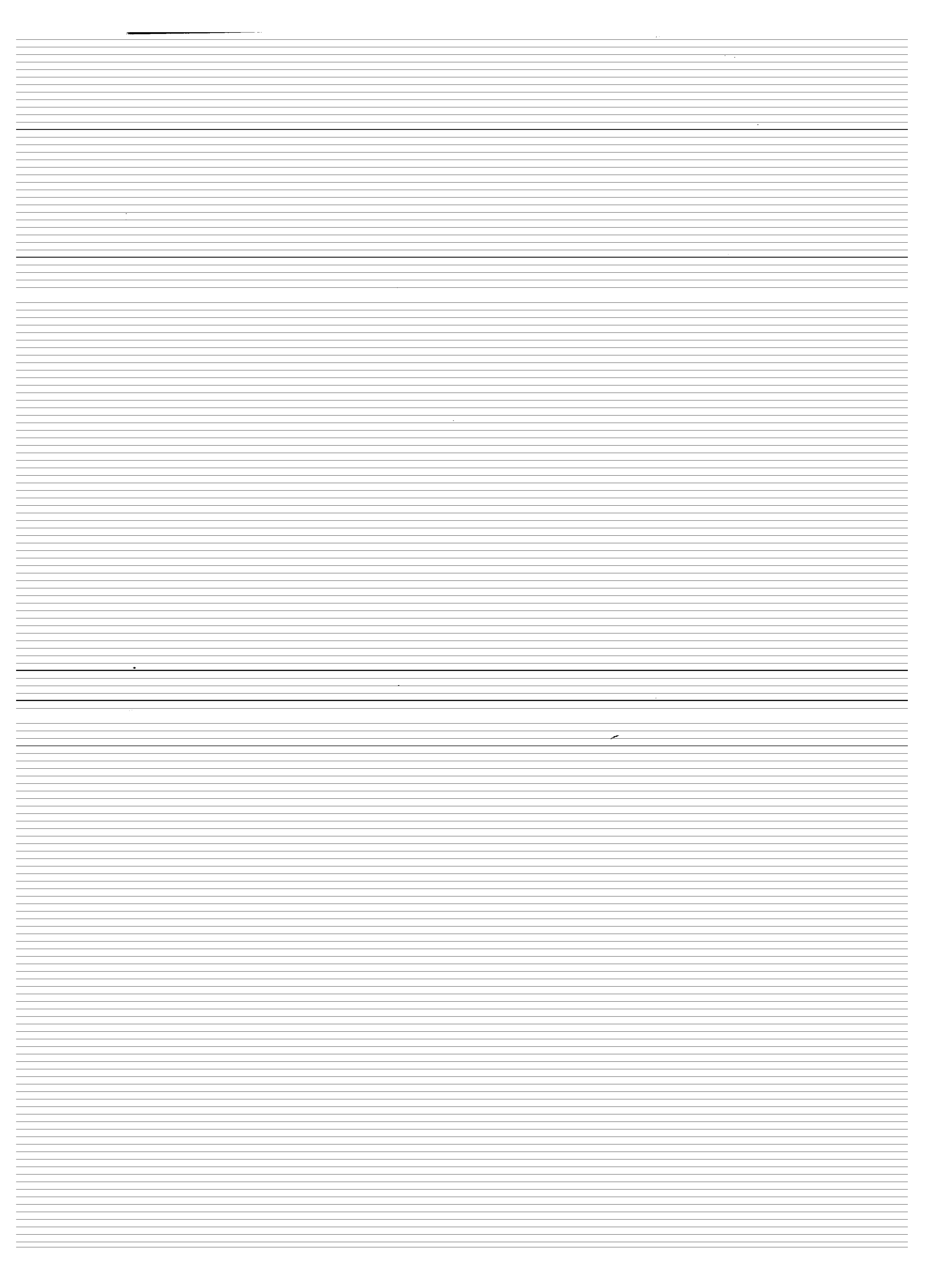
ونسب في لسان العرب : " أما " إلى الأحوص١ /١٢٢. وهو في همع الهوامع ١٣٥/٢ .

(٢) رصف المباني ص١٠١، ١٠٢ .

(٣) لحن العامة ص ٤١ ، والأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص ٢١٢ ، والتطور اللغوي " مظاهره وعلله " ص ٦٤ .

(٤) الكتاب ٤٢٤/٤ .


المبحث الخامس
الوقف على أواخر
الكلم وصوره



الوقف على أواخر الكلم وصوره

عرض كل من النحاة والقراء لمصطلح الوقف ، حيث ارتدى ثوب الشمول عند النحاة ممثلاً في جميع ألفاظ اللغة ، في حين كان التخصيص باللفظ القرآني هو عنوانه عند القراء .

فالوقف عند النحاة : هو قطع الكلمة عما بعدها [١] ، أو قطع النطق عند آخر الكلمة [٢] .

والوقف عند القراء : عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة ، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه أو بما قبله لا بنية الإعراض [٣] .

وأما صور الوقف على أواخر الكلم فقد ذكر ابن الجزري أن للوقف في كلام العرب أوجه متعددة ، والمستعمل منها عند أئمة القراء تسعة :

١- السكون	٢- الروم	٣- الإشمام
٤- الإبدال	٥- النقل	٦- الإدغام
٧- الحذف	٨- الإثبات	٩ - الإلحاق [٤] .

---

(١) شرح الرضي على شافية ابن الحاجب ٢٧١/٢ .
(٢) شرح الأشموني ٢٠٣/٤ .
(٣) النشر ٢٤٠/١ . وانظر : إتحاف فضلاء البشر ٣١٣/١ .
(٤) النشر ١٢٠/٢ . وانظر : الإتقان ١١٧/١ ، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي تحقيق . أحمد شمس الدين ٣٩١/٣ - منشورات محمد على بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

والسكون هو الأصل في الوقف ؛ لأن " الحرف الموقوف عليه لا يكون إلا ساكناً كما أن الحرف المبدوء به لا يكون إلا متحركاً ؛ وذلك لأن الوقف ضد الابتداء ، فكما لا يكون المبدوء به إلا متحركاً فكذلك الموقوف عليه لا يكون إلا بضده وهو السكون ... فالسكون هو الأصل والأغلب الأكثر لأنه سلب الحركة ، وذلك أبلغ في تحصيل غرض الاستراحة" [١] .

ففي سورة " الرحمن " لا يحسن الإنسان بموسيقى الفواصل إلا إذا وقف عليها جميعاً بالسكون ، وهذا كان وقف النبي (ﷺ) كما في الصحيحين عن أم سلمة ، كما كان ذلك وقف الصدر الأول من الصحابة والتابعين ، ومشايخ القراءة والأئمة [٢] .

وقد تعود العرب القدماء في وقفهم طرائق شتى ، وانقسموا في هذا إلى طائفتين متميزتين : أولئك الذين ينتظرون ، وأولئك الذين لا ينتظرون ؛ وذلك لأن المرء في وقفه على كلمة من الكلمات قد يسلك إحدى طريقتين : إما التأني في النطق بأواخر الكلمات والحرص على إعطائها كل حقها الصوتي ، دون أن يسقط من حروفها شيئاً ، أو ينتقص من أواخرها شيئاً ، بل يظل نطقه مستمراً واضحاً حتى نهاية الكلام ، ويمكن أن يعد هذا وقفاً بما يشبه الوصل . وهؤلاء هم

---

(١) شرح المفصل ٦٧/٩ . وانظر : الإتقان ٤٩/١ ، وهمع الهوامع ٣٩١/٣ .

(٢) اللهجات العربية في التراث ٢ / ٤٨١ ، وانظر : الإضاءة في بيان أصول القراءة صـ ٤٦ .

الذين أشار إليهم النحاة بمن ينتظر ، أي لا يسرع بأواخر الكلمات الموقوف عليها ، ولا يتعجل في نهايتها .

وقد روي لنا أن قبيلة الأزد كانت من هؤلاء الذين ينتظرون ... أما أولئك الذين كانوا لا ينتظرون في وقفهم بل يتعجلون نهاية الكلمة ويسرعون في النطق بآخرها ، لا يعنون بتما مها ولا يحفلون بسقوط بعض أجزائها فهؤلاء تمثلهم قبيلة ربيعة ، وقبيلة لخم ، وقبيلة طيئ خير تمثيل [1] .

الوقف على أواخر الكلم في [رصف المباني]

حمل كتاب " رصف المباني " بين طياته نصوصاً أربعة لهذا العنوان ، مثَّلث ثلاثة منها عنوان " الوقف بالإبدال" ، في حين مثَّل النص الرابع " الوقف بالإلحاق " ، وفيما يلي تفصيل ذلك .

الوقف بالإبدال

تحقق الوقف بالإبدال في كتاب " رصف المباني " من خلال حالتين :

الحالة الأولى : الاسم المنصوب المنون ويوقف عليه بالألف بدلاً من التنوين ومثله إذن ونون التوكيد .

---

(١) من أسرار اللغة د. إبراهيم أنيس ص ٢٢٣: ٢٢٦ .

الحالة الثانية : الاسم المفرد المؤنث بالتاء ويوقف عليه بالهاء بدلاً منها [1] .

ويمكن عرض هاتين حالتين من خلال عدة وجوه :

الوجه الأول : الوقف بالألف

والوقف بالألف في كتاب " رصف المباني " قد تَمَّ من خلال عدة صور :

الصورة الأولى : نون التوكيد الخفيفة

ذكر المؤلِّف في باب " الألف " أن " القسم الثاني من قسم الألف التي هي بدل من حرف أصلي . لها ثلاثة مواضع : الأول : أن تكن بدلاً من النون الخفيفة في الوقف نحو قولك : اضربَنْ زيداً واقتُلَنْ عمرًا ، ولا تضربَنْ ولا تقتلنْ ، إذا وقفت عليها أبدلتها ألفاً فقلت : اضربا واقتلا ولا تضربا ولا تقتلا ، سواء كان ذلك في النظم أو النثر ، فالنثر كقوله تعالى : ﴿ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ [2] ،﴿ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ ﴾ [3]

---

(١) هذا بالإضافة إلى خمس حالات أخرى وردت في العربية للوقف بالإبدال انظر : شرح المفصل ٧٠/٩ ، وشرح الرضي على شافية ابن الحاجب ٢٧٣/٢: ٢٨٩ ، وشرح الأشموني ٥٠٨/٢ ، ٥١٨ ، والنشر ١٢٠/١.

(٢) سورة العلق آيه (١٥) .

(٣) سورة التوبة من الآية (٧٥) .

وإنما ذلك لأنها زائدة مثلها ، ولأنها حرف يعرب به مثلُها عند بعضهم ، ولأنها أمدُّ صوتاً منها وأكثر تبييناً منها للحركة .

والنظم كقول الشاعر :

... ولا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ واللهَ فاعْبُدَا [1]

أراد : " اعبدن " .

وقال آخر :

متى تأتنا تُلْمِمْ بنا في ديارنا تجد حطباً جزلا ونارا تأجَّجا [2]

أراد : " تتأججن " ، فحذف التاء الأصلية لدلالة تاء المضارعة عليها تخفيفًا ، وأدخل النون عليه في الواجب للضرورة ، كقوله :

يحسبه الجاهل ما لم يعلما شيخا على كرسيه معمما [3] .

---

(١) البيت للأعشى ، وثمة رايات لصدره ، فصدره في الديوان ص ١٣٧، والأزهية ص ٢٨٥: فصل على حين العشيات والضحى . وصدره في الكتاب ٥١٠/٣ : وإياكَ والَميْتاتِ لا تَقْرَبَنّها . وانظر : شرح المفصل ٣٩/٩ ، ولسان العرب (نصب) ٦ / ٤٤٣٥ . من قصيدة قالها حين عزم على الإسلام فمدح رسول الله ، ثم غلبت عليه شقوته فمات على كفره .

(٢) نسبه في الدر إلى عبيد الله بن الحر الجعفى ١٦٦/٢ . وهو في الكتاب ٨٦/٣ ، وشرح المفصل ٥٣/٧ ، ولسان العرب (نور) ٦ / ٤٥٧٢ .

(٣) البيت في ملحق ديوان العجاج ص ٨٨ . وانظر : نوادر أبي زيد ص ٣٣ – بيروت ١٩٦٧م ، وشرح المفصل ٤٢/٩. وهو يصف جبلاً علاه النبات .

أراد " يعلمن " ، فأدخل النون في الواجب وليس بقياس ، وإنما جاء منه ما جاء ضرورة أو شاذاً ، وأما الكوفيون فيجيزون ذلك قياساً ، وعلى مذهبهم جري المتنبي من قوله :

باد هواك صبرت أو لم تصبرا [1]

أراد : " تصبرن " فأجراه مجري " يعلمن " في البيت المتقدم ، وأبدل جميعهم الألف منها في الوقف كما رأيت [2] " .

التعليق :

لا خلاف بين العلماء في أن الوقف بالألف يمثِّل القاعدة العامة في إبدال نون التوكيد الخفيفة إذا انفتح ما قبلها ، سواء أكتبت بالألف مع التنوين أم كتبت بالنون[3] ، وهذا ما أثبته المؤلِّف ونَصَّ عليه من خلال الاستشهاد بالنثر ، وذلك بآيتين من القرآن الكريم ، وبالنظم من خلال أربعة شواهد شعرية .

---

(١) الديوان ٣١٦/٢ . وعجزه : وبكاك إن لم يجر دمعك أو جري .

(٢) رصف المباني صـ ٣٢، ٣٣ .

(٣) انظر قطر الندي وبل الصدي لابن هشام ، تأليف د. محمد محيي الدين عبد الحميد صـ ٤٦٤ – دار الفكر العربي ، وهمع الهوامع ٣٨٦/٣ ، وجامع الدروس العربية . مصطفى الغلاييني ١٢٦/٢، ١٢٧ – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – الطبعة الثلاثون – ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م ، والتبيان في تصريف الأسماء د. أحمد حسن كحيل صـ ٣٣٧ .

حيث كتبت النون في " لنسفعًا " و " لنكونًا " بإبدالها ألفاً حال الوقف عليها ، وكثر ذلك حتى صارت رويًا [١] ، فكتبت ألفًا في " اعبدن " ، وتتأجحن ، ويعلمن ، وتصبرن " وهي محل الاستشهاد عند المؤلِّف .

وقد ذكر صاحب " مجمع البيان " الخلاف بين البصريين والكوفيين في الوقف على " نون التوكيد الخفيفة " عند تعليقة على لفظة " لنسفعًا " فقال : " والنون في " لنسفعن " نون التوكيد الخفيفة ، والاختيار عند البصريين أن تكتب بالألف ؛ لأن الوقف عليها بالألف ، واختيار الكوفيين أن تكتب بالنون ؛ لأنها نون في الحقيقة " [٢] .

والعلة في إبدال النون الساكنة ألفاً في حال الوقف عليها كما يقول المؤلِّف : " وإنما ذلك لأنها زائدة مثلها ، ولأنها حرف يعرب به مثلها عند بعضهم ، ولأنها أمدُّ صوتاً منها وأكثر تبييناً منها للحركة [٣] " .

هذا بالإضافة إلى أن هناك وجه شبه آخر يجمع بين صوتي الألف والنون وهو حرية مرور الهواء حال النطق بهما ، فإذا كانت

---

(١) البحر المحيط ٥١١/١٠ . وانظر : إعراب القراءات السبع لابن خالويه : حقيقة د . عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ٥٠٩/٢- مكتبة الخانجي بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ١٨٤/٦ - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان .

(٣) رصف المباني ص٣٣ .

الألف من الحركات فإن النون من أشباه الحركات ، وذلك لأن الهواء يكون مع الألف أوسع من غيرها ، حيث يقول ابن جني : " فإذا اتسع مخرج الحرف حتى لا ينقطع الصوت عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتداً حتى ينفد ... والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة الألف ثم الياء ثم الواو ، وأوسعها وألينها الألف " [١] .

وأما النون بالإضافة إلى صوتي الراء واللام فتسمى بـ " أشباه حركات " ؛ وذلك لن " هواء اللام والميم والنون يخرج حرًّا طليقاً كالحركات تماماً ، ولكنه مع الحركات يخرج من وسط الفم ، ومع اللام من جانبي الفم ، ومع الميم والنون من الأنف . فالشبه إذاً ينحصر في حرية مرور الهواء ، ولكن هذه الأصوات لم تعد حركات ، لأن هواءها الحر يخرج من وسط الفم ، ولهذا سمِّيت " أشباه حركات " ولكنها ليست حركات [٢] " .

الصورة الثانية : الاسم المنصوب .

للوقف على الاسم المنصوب عدة حالات ذكر منها المؤلِّف ما يأتي :

---

(١) سر صناعة الأعراب ٧/١ .

(٢) علم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر ص ١٣١ .

الحالة الأولى : الاسم الصحيح المنوَّن

ذكر المؤلِّف : " الموضع الثاني : أن تكون بدلاً من تنوين المنصوب فتقول في نحو : رأيت زيداً : " رأيت زيدا " ... " (١) .

التعليق :

ذكر علماء العربية أن للوقف على المنصوب المنون ثلاث لغات : " الأولى :- وهي الفصحى :- أن يوقف عليه بإبدال تنوينه ألفًا إن كان بعد فتحة ، وبحذفه إن كان بعد ضمة أو كسرة بلا بدل ، تقول : رأيت زيدا ، وهذا زيد ، ومررت بزيد . والثانية : أن يوقف عليه بحذف التنوين وسكون الآخر مطلقاً ، ونسبها المصنِّف إلى ربيعة . والثالثة : أن يوقف عليه بإبدال التنوين ألفاً بعد الفتحة ، و واواً بعد الضمة ، وياء بعد الكسرة ، ونسبها المصنِّف إلى الأزد" (٢) .

وقد نَصَّ سيبويه على اللغة الفصيحة بقوله : " أمَّا كل اسم منون فإنه يلحقه في حال النصب في الوقف الألف ؛ كراهية أن يكون التنوين بمنزلة النون اللازمة للحرف أو زيادة منه لم تجئ علامة للمنصرف . فأرادوا أن يفرقوا بين التنوين والنون" (٣) .

---

(١) رصف المباني ص ٣٣.
(٢) حاشية الصبان ٢٠٤/٤ .
(٣) الكتاب ١٦٦/٤ .

وهو أرجح اللغات وأكثرها ، حيث يذكر ابن هشام ذلك فيقول : " وإذا وقفت على منون فأرجح اللغات وأكثرها أن يحذف تنوينه بعد الضمة والكسرة كـ (هذا زيْد) ، و (مررت بزيْد) وأن يُبْدَل ألفاً بعد الفتحة : إعرابية كانت كـ (رأيت زيْدَا) وبنائية كـ (إيَها) و (وَيْهَا) ... " (١) .

والعلة في الوقف بالألف على المنصوب المنوَّن كما ذكر الرضي : " المنصوب المنون تقلب نونه ألفاً ؛ لأنه لا يستثقل الألف ، بل تخف به الكلمة ، بخلاف الواو والياء لو قلبت النون إليهما في الرفع والجر ، والخفة مطلوبة في الوقف " (٢) .

" وقد مَثَّل الوقف بالأُلف على المنصوب المنون موقف قريش ومن حذا حذوهم من القبائل الحجازية ، فقد كان موقفاً وسطاً بين من ينتظرون ومن لا ينتظرون فنراهم في وقفهم على الاسم المنون يسقطون الضم والكسر ، ويبقون على الفتح قائلين : هل جاء خالدْ ، هل مررت بخالدْ ، هل رأيت خالدا ... وربما كان السر في الإبقاء على الفتح أنه أوضح في السمع من الضم والكسر ، ويتطلب زمناً أطول للنطق به ، وسقوط الصوت الأول الأكثر وضوحاً في الكلام يبرز للسامع بصورة تشعره بفقدان شيء أو نقصان شيء ، ولا سيما إذا كانت

---

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام . ٣٤٢/٤.

(٢) شرح الرضي على شافية ابن الحاجب ٢٧٩/٢ .

الفتحة مع التنوين قد تحولا إلى ألف مد ... فهل هناك ما هو أفصح من لغة القرآن كانت تلتزم الوقف بالسكون إلا مع المنصوب المنون فيوقف عليه بالألف ، وهو ما نراه في مواضع كثيرة من القرآن الكريم مثل : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ ﴾[1] .

الحالة الثانية : الاسم المقصور المنون

ذكر المؤلِّف في باب الألف حال المقصور المعرب حالة الوقف فقال : " وأما المقصور المعرب ، نحو : " عصا ورحى " فلا خلاف بينهم أن الوقف فيه على الألف المبدلة من التنوين ، نحو : رأيت عصا ورحى ، وإنما الخلاف بين النحويين في الألف في حال الرفع والخفض – وإن كانوا مجمعين على أن تلك الألف بدل من حرف هو لام الفعل – فأكثرهم على أنها للوقف ؛ لأن الواو والياء لا يثبتان في الوقف في مشهور اللغات ، وأبو عثمان المازني يرى أن الألف عوض من التنوين ، والألف التي هي بدل من أصل محذوفة لاجتماعهما ساكنتين ، لأن ما قبل الألف مفتوح أبداً في الحالات

---

(١) من أسرار اللغة ص ٢٢٦، ٢٢٧ .

الثلاث : الرفع والنصب والخفض . والصحيح مذهب الجماعة ؛ لأن التنوين محذوف في الوقف البتة فلا تكون الألف في الوقف عوضاً منه البتة ... "[١] .

التعليق :

يمثِّل الوقف بالألف القاعدة العامة للوقف على المقصور المعرب المنون ، حيث ذكر ابن مالك أنه " لا يوقف على المقصور من الأسماء إلا بالألف . مُنَوَّناً كان أو غير مَنَوَّن . لكن في المنون ثلاثة مذاهب : أحدها : مذهب سيبويه وهو الحكم عليه في الرفع والجر بأن تنوينه محذوف دون عِوَض ، وأن الوقف فيه على الألف التي من نَفْس الاسم . والحكم عليه في النصب بأن تنوينه أُبدل منه في الوقف ألف إجراء له مُجري الصحيح .

ومذهب المازني : أن الألف الثابتة في الوقف هي بدل من التنوين منصوباً كان المقصور أو مرفوعاً ، أو مجروراً . فحكم في المقصور بما حكمت الأزد في الصحيح .

وذكر ابن برهان أن مذهب أبي عمرو والكسائي أن الألف الموقوف عليها في المقصور لا تكون أبداً إلا الألف التي هي من نفس الاسم مرفوعاً كان أو مجروراً أو منصوباً . وهذا المذهب أقوى من

---

(١) رصف المباني صـ ٣٤ .

غيره ، وهذا موافق لمذهب ربيعة في حذفهم تنوين المنصوب دون بدل ، والوقف عليه في السكون مطلقاً . وتُقَوى هذا المذهب الرواية بإمالة الألف وقفاً ، والاعتداد بها رويًا وبدل التنوين غير صالح لذلك . وهذا الذي حكاه ابن برهان عن أبي عمرو والكسائي هو اختيار السيرافي ، وبه أقول [1] " .

فالوقف بالألف في تلك الحالة إجماع من النحاة ، والآيات القرآنية خير شاهد على ذلك كما يقول الدكتور / إبراهيم أنيس : " ففي مثل هذه الكلمات نرى النحاة قد أجمعوا على بقاء الألف في حالة الوقف ؛ لأنها عنصر أساسي من مقومات الكلمة ، فإذا فُقِد فقدت الكلمة معالمها . أما تنوينها إن كانت منونة فيسقط في الكلام في حال الوقف عليها . وكذا نرى الفواصل في سورة الليل وسورة الأعلى تحفظ بالألف في نهاية الكلمات : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝ ﴾ [2] .

(١) شرح الكافية الشافية لابن مالك حقَّقه د. عبد المنعم أحمد هريدي ١٩٨٢/٤: ١٩٨٤ – جامعة أم القرى – مكة المكرمة .

(٢) سورة الليل الآيات (١: ٤) . من أسرار اللغة ص ٢٢٨ .

الحالة الثالثة : الاسم غير المنصرف

استشهد المؤلِّف على الوقف على مالا ينصرف بالألف ، حيث يقول : " كما أن منهم من يقف على مالا ينصرف بالألف فيقول : رأيت أحمدا و مساجدا ، وعليه يحمل ﴿ قَوَارِيرَاْ ، قَوَارِيرَاْ ﴾ [1] على قراءة من لم ينونِّ الأول ، ومن نوَّنه فهي عوض من التنوين ؛ لأن من العرب من يصرف الجمع الذي لا نظير له في الواحد فيقول : هذه مساجد ، حكى ذلك ابن جني في " سر الصناعة " ، وعليه قراءة من قرأ : ﴿ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾ [2] .

التعليق :

نحن إذاً أمام الاستشهاد بثلاثة أحرف من سورة الإنسان ، وهي بترتيب الآيات :

أ- سلاسل في قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾ .

ب- قوارير . قواريرا في قوله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ، قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾.

---

(١) سورة الإنسان من الآيتين (١٥، ١٦) .

(٢) سورة الإنسان الآية (٤).

والقُرَّاء في هذه الأحرف الثلاثة على خلاف بين التنوين وعدمه والوقف بألف وعدمه أيضاً ، حيث نسبت الأحرف الثلاثة بالتنوين إلى نافع وهشام عن ابن عامر والكسائي وأبي بكر عن عاصم وخلف ، وباقي السبعة مع حفص في ترك التنوين فيهم عدا ابن كثير فعلي تنوين الحرف الثاني فقط ، وكلهم وقف بالألف إلا حمزة وقنبلا عن ابن كثير فإنهما وقفاً بغير ألف في الحرف الأول ، وكذا حفص في إحدى الروايات عنه ، وعدا حمزة فقط في الحرف الثاني ، ونافع وهشام وشعبة على الوقف بالألف في الحرف الثالث ، وباقي السبعة على الوقف بغير ألف [1] .

فالحجة لمن نَوَّن الحرف الأول : أنه شاكل به ما قبله من رءوس الآي ؛ لأنها بالألف ، وإن لم تكن رأس آية ، ووقف عليها بالألف .

ومن نَوَّن الحرف الثاني : فلأنها رأس آية ، وكتابتها في السواد بألف ، وأتبعها الحرف الثالث لفظاً لقربها منها وكراهية المخالفة بينهما ، وهما " سيّان " كما قال الكسائي : ﴿ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ [2] . فصرف الثاني لقربه من الأول .

---

(١) انظر : الحجة للقراء السبعة ٣٤٨/٦، ٣٤٩، والسبعة صـ ٦٦٣، ٦٦٤ ، والتيسير صـ ١٧٦، ١٧٧ ، والعنوان صـ ٢٠١ ، والإقناع في القراءات السبع لابن الباذش . حققه . أحمد فريد المزيدي صـ ٤٧٩- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .

(٢) سورة هود من الآية (٦٨).

وأما من وقف بغير ألف : فلأنه لم يثبت فيه في الوصف تنوين لم يثبت فيه في الوقف ألف كما فعل بـ " أبا ربق وشبهه " .

وأما الحجة لمن ترك التنوين في الحرف الأول : قال : هي على وزن ،" فعالل " . وهذا الوزن لا ينصرف إلا في ضرورة شاعر ، وليس في القرآن ضرورة.

والحجة في ترك التنوين في الحرف الثاني والثالث : أنه أتي بمحض قياس العربية ؛ لأنه على وزن فواعيل . وهذا الوزن نهاية جمع المخالف لبناء الواحد ، فهذا ثـقَل ، وهو مع ذلك جمع والجمع فيه ثِقَل ثان ، فلما اجتمع فيه ثقلان منعاه من الصرف .

وأما الوقف بالألف : فاتباع للخط ، ولأن من العرب من يقول : رأيت عُمَرا ، فيقف على ما لا ينصرف بالألف (١) .

الحالة الرابعة : إذن

وفي الوقف على " إذن " يقول المؤلِّف : " واعلم أن " إذن " اختلف في صورة كتبها : فمذهب أبي العباس المبرد أنها تكتب

(١) الحجة في القراءات السبع صـ ٣٥٨، ٣٥٩ ، والكشف ٣٥٣/٢ . وانظر : معاني القرآن ٢١٤/٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٦٠/٥، ٢٦١ ، والحجة للقراء السبعة ٣٤٩/٦: ٣٥١، وحجة القراءات صـ ٧٣٧ : ٧٣٩، والكشف ٣٥٢/٢ : ٣٥٤ ، والكشاف ٦٦٧/٤ ، ٦٧١، والمحرر الوجيز ١٨٤/١٦، ١٨٩، ومفاتيح الغيب ٣١/ ٥٧، ٧٢، وإملاء ما مَنّ به الرحمن ٢٧٥/٢، ٢٧٦، والجامع لأحكام القرآن ٧١٥٩/١٠، ٧١٦٠، والبحر المحيط ١٠/ ٣٦٠، ٣٦٣، والدر المصون ٦/ ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٤، والنشر ٣٧٨/٢ .

بالنون في حالتي الوصل والوقف ، ومذهب المازني أنها تكتب بالألف في كلتا الحالتين ، ومذهب الفراء أنها إن عملت كتبت بالنون وإن لم تعمل كتبت بالألف . فعلة من كتبها بالنون في الحالتين من الوصل والوقف أنها حرف ، ونونها أصلية فيه ك : أن وعن ولن . وعلة من كتبها بالألف في الحالتين شبهها بالأسماء المنقوضة لكونها على ثلاثة أحرف بها ، فصارت كالتنوين في مثل " دمًا " و " يدًا " في حال النصب .

وعلة من فرّق بين كونها عاملة ، فتكتب بالنون تشبيهاً بـ " عن " و " أنْ " كونها غير عاملة فتكتب بالألف تشبيهاً بالأسماء المذكورة ك " دماً " و " يداً " .

والذي عندي فيها : الاختيار أن ينظر : فإن وصلت في الكلام كتبت بالنون عملت أو لم تعمل ، كما يفعل أمثالها من الحروف (لأن ذلك لفظها مع كونها حرفاً لا اشتقاق لها) ، وإذا وقف عليها كتبت بالألف ، لأنها إذ ذاك مشبهة بالأسماء المنقوصة المذكورة في عدد حروفها ، و أن النون فيها كالتنوين ، وأنها لا تعمل مع الوقف مثل الأسماء مطلقاً .

فإن قيل : شبهتها في الوصل بـ " عن " و " لن " و" أن " فينبغي أن تكتب بالنون لأنها حرف مثلها ، فالجواب : أنَّ " لنْ "

و " أن " و " عن " تخالف " إذن " من وجهين : أحدهما : ما ذكرنا من أنّ " إذن " تشبه الأسماء في عدد الحروف كما تقدم ، و" أن ، ولن ، وعن " لا تشبهها في ذلك . والآخر : أن " لن ، وأن ، وعن " لا تكون إلا عاملة في معمولها فهي معه كشيء واحد وقفت أو وصلت ، و " إذن " إذا وقفت عليها قد تكون غير عاملة ، إذ العمل لا يلزم فيها فصحّ لك ما ذكرت " (١) .

التعليق :

ذهب الجمهور إلى أن الوقف على " إذن " شبيه بالوقف على المنون المنصوب ، حيث تُبدل نونها ألفاً في حال الوقف عليها ، حيث يقول ابن هشام : " وشبهوا " إذَنْ " بالمنون المنصوب ؛ فأبدلوا نونها في الوقف ألفاً ، هذا قول الجمهور " (٢) .

ولكن ذهبت بعض الآراء إلى الوقف عليها بالنون ، حيث قيل : " واختلف في الوقف على إذن ، فمذهب أبي علي والجمهور إبدال نونها في الوقف ألفاً . وذهب طائفة : إلى أنه يوقف عليها بالنون . قال أبو حيان : وأما عن ، ولن ، وأن ، ونحوها ، فإنه يوقف

(١) رصف المباني صـ٦٧ : ٦٩ .

(٢) أوضح المسالك ٣٤٢/٤ . وانظر : شرح الكافية الشافية ١٩٨١/٣.

عليها بالنون إذا اضطر إلى ذلك ، لأنها حروف لا يحسن الوقف عليها بخلاف إذن ، فإنه يحسن الوقف عليها والفصل "[١] .

ومن هنا " إذا كتبت " إذاً " بالألف مع التنوين ، طرحت التنوين ، ووقفت عليها بالألف ، وذا كتبتها " إذَنْ " ، بنون ساكنة ، أبدلت نونها ألفاً ، ووقفت عليها بها . ومنهم من يقف عليها بالنون مطلقاً ، وهو اختيار بعض النحاة . وإجماع القراء السبعة على خلافه "[٢] .

الوجه الثاني : الوقف بالسكون

وقد تحقَّق الوقف بالسكون في كتاب " رصف المباني " من خلال حالتين :

الحالة الأولى : المنصوب المنون

ذكر ابن جني أن الوقف بالسكون على المنصوب المنوَّن لغة لبعض العرب لم ينسبها ، حيث قال : " ولم يحك سيبويه هذه اللغة ، لكن حكاها الجماعة : أبو الحسن ، وأبو عبيدة ، وقطرب ، وأكثر الكوفيين ... ألا ترى أن صاحب هذه اللغة إنما يقف على حرف

---

(١) همع الهوامع ٣٨٩/٣، ٣٩٠.

(٢) جامع الدروس العربية . ١٢٦/٢.

الإعراب ساكناً ، فيقول : رأيت زيْدْ ، كالمرفوع ، والمجرور هذا هو الظاهر من الأمر " [١] .

ولكن نَصَّت كثير من المصادر أن الوقف بالسكون بعد حذف التنوين على المنصوب المنون لغة ربيعة [٢] .

ولعل الوقف بالسكون هنا لغة هؤلاء الذين كانوا لا ينتظرون في وقفهم بل يتعجلون نهاية الكلمة ويسرعون في النطق بأواخرها ، لا يعنون بتمامها ولا يحفلون بسقوط بعض أجزائها فهؤلاء تمثلهم قبيلة ربيعة ، وقبيلة لخم ، وقبيلة طيئ خير تمثيل ، فما رواه الرواة عن هذه القبائل في طرق الوقف عندها يجعلنا نحكم ونحن مطمئنون أنها لم تكن تعنى بأواخر الكلمات في حالة الوقف عليها ، مما ترتب عليه بتر بعض أجزاء الكلمة فسقطت في وقفهم حركات الإعراب جميعاً ، بل وفي بعض الأحيان سقط منها بعض الأجزاء الأخرى للكلمة الموقوف عليها . ولم يكن مثل هذا بطبيعة الحال متعمداً أو مقصوداً ، بل صدر عنهم في صورة لا شعورية ، وأغلب الظن أن المتكلم منهم كان يظن أنه ينطق بالكلمة تامة كاملة [٣] .

---

(١) الخصائص ٩٩/٢، ١٠٠ وينظر : الكتاب ١٦٧/٤ ، وسر صناعة الإعراب ٤٧٧/٢، ٤٧٨، وارتشاف الضرب ٣٩٢/١، وهمع الهوامع ٢٠٥/٢ .

(٢) انظر : شرح الرضي على شافية ابن الحاجب ٢٧٢/٢، ٢٧٩ ، ٣١٦، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد صـ ٣٢٨ ، وشرح الأشموني ٢٠٤/٤ ، وشرح التصريح على التوضيح صـ ٣٣٨.

(٣) انظر : من أسرار اللغة صـ ٢٢٥، ٢٢٦ .

الحالة الثانية : المقصور غير المنون

ذكر المؤلِّف أن الوقف بالألف على المقصور غير المنون إلا في ضرورة فيكون الوقت بالسكون ، حيث يقول : " وإن كان الاسم مقصوراً فلا يوقف عليه إلا بالألف ، إلا في الضرورة كقوله :

..... رَهْطُ مَرْجُومٍ ورَهْطُ ابنِ المُعَلْ [١]

أراد : " المُعَلَّى " [٢].

التعليق :

لا خلاف بين العلماء في النص على تلك القاعدة السابقة كما يقول ابن مالك : " ولا خلاف في المقصور غير المنون أن لفظه في الوقف كلفظه في الوصل ، وأن ألفه لا تحذف إلا في ضرورة" [٣] فعندما تحذف الألف لا يكون الوقف إلا بالسكون وهو الأصل في الوقف كما سبق أن ذكرنا .

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة تحقيق . د . إحسان عباس صـ ١٩٩ – الكويت ١٩٦٢م وصدره :

وَقَبِيلٌ مِنْ لُكَيْزٍ شاهِدٌ

ولكيز من عبد القيس . ومرجوم من أشرافهم . واسمه عامر بن مر ... وابن المعلى : جد الجارود ابن بشير بن عمرو بن المعلى من عبد القيس .

(٢) رصف المباني صـ ٣٦ .

(٣) شرح الكافية الشافية ١٩٨٤/٤ .

الوجه الثالث : الوقف بالهاء

ذكر المؤلِّف في " باب الألف " : " الموضع الثاني : أن تكون بدلاً من تنوين المنصوب فتقول في نحو رأيت زيداً : " رأيت زيدا " . وحكم الصحيح والمعتل في ذلك سواء ، نحو : رأيت موسى ، ورأيت عصا ، إلا أن تكون تاء التأنيث فإنها تبدل هاء في نحو : رأيت قائمهْ ، وذلك ليفارق ما فيه التاء أصلية ، نحو : رأيت إصليتا [١] وعفريتا ، وشربت ماءً فراتـًا ، وأكلت حوتـًا وملتوتـًا .

فأما " أُخْت " و" بنْت " و " هَنْت [٢] " فالتاء فيها مبدلة من واو لقولهم : أخوات وبنوات وهنوات وهذا فصل من باب التصريف فيه اختلاف بين البصريين والكوفيين ، وقد اضطرب فيه قول سيبويه في باب النسب ، وشرح ذلك يخرجنا عن المقصود لطوله " [٣] .

التعليق :

إذا كان المنصوب المنون تاء تأنيث فإنها تبدل في الوقف هاء ، وتلك هي اللغة الفصيحة وهو رأي الجمهور ، حيث يقول السيوطي : " وإذا كان آخر الاسم الموقوف عليه ، تاء تأنيث ... فالأفصح إبدالها في الوقف هاء إن تحرك ما قبلها لفظاً كفاطمة

---

(١) السيف الإصليت : الماضي . لسان العرب (صلت) ٤ / ٢٤٧٨ .

(٢) انظر : أمالي الشجري ٢/٧٠ .

(٣) رصف المباني ص ٣٣ ، ٣٤ .

وقائمة ، وطلحة ، وغلمة ، أو تقديراً كالحياة والقناة ، بأن أصل هذه الألف حرف علة متحرك انقلبت عنه [١] " .

وكذلك تلتزم التاء عند الوقف إن كانت متصلة بحرف كثمت أو باسم وقبلها ساكن صحيح كأخت وبنت ، أو بفعل نحو : كتبت . ويجوز إبقاؤها وإبدالها إن كانت في اسم وقبلها حركة كما في شجره أو ساكن معتل كما في صلاة ومسلمات [٢] .

ويبدو أن إبدال تاء التأنيث هاء في الوقف جاءت على طريق هؤلاء الذين لا ينتظرون ؛ لأن الوقف على تاء التأنيث يتخذ في اللهجات العربية أحد طريقين : طريق الذين لا ينتظرون فتسقط التاء في وقفهم مثلها في هذا مثل معظم الحروف الشديدة المهموسة حين تتطرف في الكلمة الموقوف عليها . وما روي لنا من أن قوماً من العرب كانوا يقولون : (يا أهل سورة البقرت) فيرد الآخر : (ما أحفظ منها ولا آيت) ... فهذه لهجة قد أبقت على التاء في حالة الوقف ، وتعد لذلك مثلاً واضحاً للهجة الذين ينتظرون [٣] .

---

(١) همع الهوامع ٢٠٩/٢ .

(٢) انظر : الكتاب ٢٨١/٢ ، وتسهيل الفوائد صـ ٣٣٠ ، وهمع الهوامع ٢٠٩/٢ .

(٣) من أسرار اللغة صـ ٢٣١ .

ثانياً : الوقف بالإلحاق

ويكون فيما يلحق آخر الكلم من هاءات السكت التي تثبت في الوقف وتحذف في درج الكلام شأنها شأن همزة الوصل[١] ، حيث يؤتي بها " للتوصل إلى بقاء الحركة في الوقف كما اجتلبت همزة الوصل للتوصل بها إلى بقاء السكون في الابتداء ، وسميت هاء السكت لأنه يسكن عليها دون آخر الكلم [٢] " .

وقد ضمَّ كتاب " رصف المباني " بين دفتيه صورتين للوقف بالإلحاق وهما كما ذُكِر في " باب الهاء المفردة " : " اعلم أن الهاء المفردة تنقسم قسمين : قسم أصل وقسم بدل من أصل ، فالقسم التي هي أصل لها في الكلام خمسة مواضعَ . الموضع الأول : أن تكون للوقف : غلامِيَهْ ، وفي هو : هُوَهْ ، وفي هي : هِيَهْ ، قال الله تعالى : ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ [٣] وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴾ [٤] ، وقال الشاعر :

إذا ما ترعرعَ فينا الغلامُ ... فما إنْ يقالُ له : مَنْ هُوَهْ [٥]

---

(١) إبراز المعاني صـ ٣٦٦ . وانظر : أوضح المسالك ٣٤٩/٤ وما بعدها .

(٢) حاشية الصبان ٢١٤/٤ .

(٣) سورة الحاقة الآيتان (٢٩، ٣٠).

(٤) سورة القارعة آية (١٠) .

(٥) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه صـ ٢٥٨– بيروت ١٣٨١هـ – ١٩٦١م ، وشرح المفصل ٨٤/٩ ، وخزانة الأدب ٤٢٨/٢ .

المعنى الثاني : بيان الألف ، نحو قولك في الندبة : وازيداه ، واعمراه ، فإذا وقفتَ أثبت الهاءَ ، وإذا وصَلْتَ حذَفْتَ ، ولا يجوز إثباتها إلا في الضرورة كقوله : يا مَرْحَباهُ بحمارِ ناجيه ْ [1] .

وقول الآخر :

وقَدْ رابَني قَوْلُها يا هَنا ه وَيْحَكَ ألحَقْتَ شَرّاً بِشَرّ [2]

عند من جَعلَ الأصل " هَنا " وهي كناية عن رجل .

الموضع الثاني : أن تكون للإطلاق في القوافي ، كما تكون الألف لذلك ، لأنَّها تُسرِّحُ القافية إلى الحركة من التقييد ، وهو السكون كما تفعل الألف ، وذلك نحو قول الشاعر :

اُكْسُ بُنَيَّاتي وأُمَّهُنَّهْ أُقْسِمُ بِالله لَتَفْعَلَنَّهْ [3]

---

(١) الخصائص ٣٦٠/٢ وبعده : إذن أتي قَرَّبْتُهُ للسَّانِيَهْ . والمنصف ١٤٢/٣ ، ولسان العرب (سنا) ٣ / ١٢٩ ، وشرح المفصل ٤٦/٩، وهمع الهوامع ١٥٧/٢ ، وخزانة الأدب ٣٨٧/٢ . واللسانية : الدلو العظيمة . لسان العرب ٣ / ٢١٢٩ .

(٢) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه . تحقيق أبو الفضل إبراهيم ص١٦٠ – مصر ١٩٥٨م ، والمنصف ١٣٩/٣ ، وسر صناعة الإعراب ٧٦/١ ، وشرح المفصل ١٠/ ٤٣ ، ولسان العرب (هن) ٦ / ٤٧١٢ ، وخزانة الأدب ٢٦٤/٣ .

(٣) وهو في شرح المفصل ٤٤/١ وقبله : يا عُمَرَ الخَبر جُزِيتَ الجَنَّة .

وقوله :

وقَائِلَةٍ : أَسِيتُ فَقُلْتُ جَيْرِ   أَسِيٌّ إنَّنِي مِنْ ذَاكَ إنَّهْ[١]

على أحد القولين ، وهذا الموضع في التحقيق راجع إلى الوقف ، إلا أنه في القوافي ، فمن هذا الوقف ينقسم ، والأول يكون في القوافي وغيرها مخالفة "[٢] .

التعليق :

من خلال هذا النص يتضح أن الوقف بالإلحاق في كتاب " رصف المباني " قد تَحقَّق في صورتين :

الصورة الأولى : الوقف بالإلحاق على ياء المتكلم

وقد تحققت تلك الصورة من خلال الأمثلة التي ذكرها المؤلِّف وهي : غلامي ومالي وسلطاني ... الخ.

والوجه في هذه الكلمات كما يقول الزجاج : " أن يوقف على هذه الهاءات ولا تُوصِلْ ، لأنها أدخلت للوقف ، وقد حذفها قوم في الوصل ، ولا أحب مخالفة المصحف ، ولأن أقرأ بإثبات الهاء في الوصل ، وهذه رؤوس آيات فالوجه أن يوقف عندها ... فمن أثبتها فلثباتها في خط المصحف ، فهو وصل بنية الوقف . وقد ذكر ذلك

---

(١) لم أهتد إلى قائلة ، وهو في لسان العرب (أسا)١ / ٨٢ ، وخزانة الأدب ٤/ ٢٣٨ .

(٢) رصف المباني صـ ٣٩٩، ٤٠٠ .

الزركشي بقوله : " فالواجب أن يوقف عليه بالهاء ؛ لأنه مكتوب في المصحف بالهاء ، ولا يوصل ، لأنه يلزم في حكم العربية إسقاط الهاء في الوصل ، فإن أثبتها خالف العربية ، وإن حذفها خالف مراد المصحف ، ووافق كلام العرب ، وإذا هو وقف عليه خرج من الخلافين ، واتبع المصحف وكلام العرب .

فإن قيل : قد جوزوا الوصل في ذلك . قلنا : أتَوْا به على نية الوقف ؛ غير أنهم قَصَّروا زمن الفصل بين النطقين ، فظن مَنْ لا خبرة له أنهم وصلوا وصلاً محضًا ، وليس كذلك [1] .

الصورة الثانية : ألف الندبة

وقد تحققت تلك الصورة من خلال الأمثلة التي ذكرها المؤلِّف وهي : وازيداه ، واعمراه ... الخ .

فهم " يلحقون في الوقف هذه الهاء الألف التي في النداء ، والألف والياء والواو في الندبة لأنه موضع تصويت وتبيين ، فأرادوا أن يمدوا فألزموها الهاء في الوقف لذلك [2] .

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي . تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم ١ / ٣٤٤ – دار الجيل بيروت – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م . وأما الهاء التي هي حرف إطلاق في القوافي فهي راجعة إلى هاء السكت أو الوقف السابقة ، ولكنها هنا خاصة بالقوافي . موسوعة الحروف صـ ٤٨٨ .

(٢) الكتاب ٤/١٦٥، ١٦٦ .

" والندبة يلزمها : " ياء " و " واواً " لأنهم يحتلطون ويدعون ما قد مات وبعد عنهم ، ومع ذلك أن الندبة كأنهم يترنمون فيها ، فمن ثم ألزموها المد ، وألحقوا آخر الاسم المد مبالغة في الترنم [١] .

فكما يقول ابن جني : " وذلك أنك لما أردت تمكين الصوت وتوفيته ليمتد ويقوي في السمع ، وكان الوقف يضعف الصوت ، ألحقت الهاء ليقع الحرف قبلها حشواً ، فيبين ولا يخفى [٢] .

وأخيرًا وعن طريق إلحاق كاف المؤنث سينًا عند بعض القبائل العربية يعرض المؤلِّف هذا النص :

في " باب السين المفردة : " الموضع الثاني : أن تكون للوقف بعد كاف المؤنث المضمر المخاطب ، ويسمَّى النطق بذلك كسكسة هوازن ؛ لأن هؤلاء العرب ينطقون بها دون غيرهم ، فيقولون في عليك وإليك ومنكِ للمؤنث المذكور إذا وقفوا : عليكس وإليكس ومنكس وما أشبه ذلك ، فإذا وصلوا حذفوا السين فقالوا : عليك حال ومنك المال ومنك الإحسان ، وهذه اللغة اختص بها هوازن ، كما اختصت تميم بالعنعنة ، أي : يقولون في أن تفعل : عِن تفعل ، وقد تقدم ذكرها في باب " عن " ، وهما لغتان قليلتان في الاستعمال ،

---

(١) السابق ٢٣١/٢ .
(٢) الخصائص ٣٣٠/٢ .

فينبغي أن يوقف فيهما مع السماع ولا يتعدى ما سمع من مواضع مجيئها ، فاعلمه "[١] .

وقد تحققت تلك الصورة عند المؤلِّف من خلال تلك الأمثلة التي ذكرها وهي : عليكس وإليكس ومنكس وما أشبه ذلك .

وتلك لهجة من اللهجات العربية عرفت بـ " الكسكسة " [٢] نسبت إلى ربيعة ومضر[٣] وبكر[٤] وهوازن[٥] وتميم [٦] ، والعلة في هذا الإلحاق كما يقول سيبويه : " واعلم أن ناساً من العرب يلحقون الكاف السين [٧] ، ليُبيِّنوا كسرة التأنيث – وإنما ألحقوا السين ؛ لأنها قد تكون من حروف الزيادة في (استفعل) . وذلك : (أعْطَيْتكِس) ، و (أُكْرِمُكِس) ، فإذا وصلوا لم يجيئوا بها ؛ لأن الكسرة تَبين " [٨] .

---

(١) رصف المباني صـ ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

(٢) وقد تكون الكسكسة إبدال كاف المخاطبة أو المذكر سينًا ، أو إبدال كاف المخاطبة تاءً وزيادة السين انظر : موسوعة الحروف صـ ٢٤٨ .

(٣) انظر : الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي صـ ٨٣ ، حيدر آبادالدكن بالهند ١٣٥٩هـ ، والصاحبي صـ ٥٣ ، والمزهر ٢٢١/١ .

(٤) انظر : فقه اللغة وسر العربية للثعالبي صـ ١٧٣ مطبعة الاستقامة بالقاهرة د. ت ، والعقد الفريد لابن عبد ربه تحقيق . أحمد أمين وآخرين ٤٤٧/٢– القاهرة ١٩٤٨– ١٩٥٣م ، وشرح المفصل ٤٩/٩ .

(٥) انظر : الخصائص ١٢/٢ ، وسر صناعة الإعراب ٢٣٥/١ .

(٦) تاج العروس (كسس) .

(٧) وعند البعض على الإبدال منها . انظر : لسان العرب (كسس) ٣٨٧٥/٥ ، وشرح الأشموني ٢٨٢/٤ ، والمزهر ٢٢١/١ .

(٨) الكتاب ١٩٩/٤ .

ويقول ابن جني : " ومن العرب من يزيد على كاف المؤنث سيناً ليبين كسرة الكاف فيؤكد التأنيث فيقول : مررت بكس ونزلت عليكس . فإذا وصلوا لبيان الكسرة " [١] .

وذكر في موضع آخر قوله : " وأما كسكسة هوازن فقولهم أيضاً : أعطيتكسْ ومنِكسْ وعنكس . وهذا في الوقف دون الوصل " [٢] .

وقد خُصَّت هذه الظاهرة بالوقف كما ذكر سيبويه وابن جني ، ولم يشترط بعض العلماء الوقف في تلك الصورة [٣].

(١) سر صناعة الإعراب ٢٠٢/١ .
(٢) الخصائص ١٤/٢ .
(٣) انظر : الصاحبي صـ ٣٦ ، وشرح الأشموني ٤ / ٢٨٢ ، والمزهر ١ / ٢٢١ .

" الخاتمة "

ومع خاتمة البحث تكون خلاصة النتائج مع كتاب " رصف المباني في شرح حروف المعاني لأبي جعفر المالقي . دراسة صوتية " ومنها : -

(١) تُعَدُّ المصَّنفات النحوية مادة خصبة للدراسة الصوتية .

(٢) من خلال ستة وعشرين بابًا ، وتسعة وعشرين نصًّا في كتاب " رصف المباني " ظهرت الدراسة الصوتية في خمسة مباحث هي : الهمز والتخفيف من خلال أربعة نصوص في أربعة أبواب ، والإبدال في سبعة نصوص من خلال سبعة أبواب ، والإشباع والاختلاس من خلال أحد عشر نصًّا في ثمان أبواب ، والمماثلة والمخالفة في ثلاثة نصوص من خلال ثلاثة أبواب ، والوقف في أربعة نصوص من خلال أربعة أبواب .

(٣) مثّلت القراءات القرآنية بشقيها – المتواتر والشاذ – مادة خصبة لتلك الدراسة .

(٤) للنطق بالهمزة العربية اتجاهان : اتجاه التحقيق ، ثم اتجاه التخفيف من حذف وتسهيل وإبدال . وقد ظهر ذلك في تلك الدراسة .

(٥) ورد قياس النحاة موافقًا لجميع حالات الهمز عدا وسيلة الإبدال عند اجتماع الهمزتين في كلمة فالقياس فيها بَيْن بَيْن .

(٦) إن الطعن في القراءات القرآنية بحجة أنها لا توافق القياس أمر مرفوض ، كما حدث في إنكار القراءة بإبدال الهمزة ألفًا عند اجتماع الهمزتين في كلمة ، وذلك لما لها من قداسة خاصَّة تكون حكمًا على القاعدة وليس العكس .

(٧) عن طريق الأصوات الصامتة والحركات ظهرت قضية الإبدال في هذا البحث من خلال خمس صور .

(٨) يُعَدُّ التقارب في المخارج والصفات بين الصوتين – المُبْدَل والمُبْدَل منه – عاملاً رئيسًا في تحقيق قضية الإبدال مع الاتفاق في المعنى .

(٩) مثّلت بعض صور الإبدال حالات لهجية معروفة ، وذلك كعنعنة تميم بإبدال الهمزة عينًا ، وطُمطُانية حمير بإبدال لام التعريف ميمًا .

(١٠) ظهرت قضية الإشباع والاختلاس تمثيلاً لحال اللهجات العربية ، فظهر الإشباع تعبيرًا عن لغة أهل الحجاز واليمن وبعض بني سليم وربيعة وقيس إضافة إلى تميم وطيئ ، بينما يمثّل الاختلاس تعبيرًا عن قيس وأسد وهوازن وأزد السراة وهذيل وبني كلاب .

(١١) ليس الأمر كما ظن المؤلّف من أن الإشباع والاختلاس ضرورة شعرية ، وأن الاختلاس لم يقع نثرًا إلا في ضمير المتكلم المرفوع إذا كان بعدها همزة ، بل ذكرت كثير من القراءات القرآنية تحمل ذلك ، إضافة إلى أن الإشباع يأتي لأغراض معنوية . وفي النهاية فالإشباع والاختلاس تمثيل صادق للهجات العربية .

(١٢) ظهرت قضية المماثلة والمخالفة كإحدى وسائل التيسير في النطق والاقتصاد في الجهد العضلي والانسجام بين أصوات اللغة .

(١٣) ظهرت المماثلة والمخالفة في هذا البحث من خلال ثلاث صور ، وهي التماثل بين الصوامت أولاً ، ثم التماثل بين الحركات ثانيًا ، وأخيرًا المخالفة بين الحركات .

(١٤) من خلال الوقف على أواخر الكلم حمل كتاب " رصف المباني " حالتي الوقف بالإبدال والإلحاق .

(١٥) نَصَّت كثير من المصادر على أن الوقف بالسكون بعد حذف التنوين على المنصوب المنون لغة ربيعة .

(١٦) عن طرق إلحاق كاف المؤنث سينًا ظهرت " كسكسة هوازن " في حالة الوقف فقط كما هو رأي أكثر العلماء .

وأخيرًا فالله – عز وجل – أدعو بدعاء قرآنه

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾[١].

---

(١) سورة الإسراء الآية (٨٠) .

" فهرس المصادر والمراجع "

* القرآن الكريم .

(١) الإبدال اللغوي بين الصوامت في القراءات القرآنية . د . عادل محمد حسن - الطبعة الأولى - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) الإبدال لأبي الطيب اللغوي . تحقيق . عز الدين التنوخي - دمشق - ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .

(٣) إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للشاطبي . تحقيق . د . إبراهيم عطوة عوض- مطبعة البابي الحلبي - ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م .

(٤) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي . د . عبد الصبور شاهين - مكتبة الخانجي - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

(٥) الإحاطة في أخبار غرناطة . لسان الدين بن الخطيب . حققه . محمد عبد الله عنان - دار المعارف بمصر .

(٦) الأزهية في علم الحروف للهروي . تحقيق . عبد المعين الملوحي - دمشق - ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

(٧) الاشتقاق للأستاذ عبد الله أمين - مكتبة الخانجي بالقاهرة - الطبعة الثانية - ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

(٨) إصلاح المنطق لابن السكيت . تحقيق الشيخ : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون - دار المعارف - الطبعة الرابعة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩م .

(٩) أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار حامد هلال – الطبعة الثانية – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م

(١٠) أصوات اللغة العربية د. محمد حسن جبل – الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

(١١) الأصوات اللغوية . د . إبراهيم أنيس – دار الأنجلو المصرية – الطبعة الخامسة– ١٩٧٩م .

(١٢) الإضاءة في بيان أصول القراءة . على بن محمد الضباع – طبعة عبد الحميد حنفي – القاهرة ١٩٣٨م .

(١٣) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه – المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

(١٤) إعراب القراءات السبع لابن خالويه : حقيقة د. عبد الرحمن ابن سليمان العثيمين – مكتبة الخانجي بالقاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

(١٥) الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي – حيدر آباد الدكن بالهند – دائرة المعارف العثمانية – الطبعة الثانية – ١٣٥٩هـ .

(١٦) الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش . حققه . أحمد فريد المزيدي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .

(١٧) الأمالي الشجرية – لابن الشجري – مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آبادالدكن بالهند – الطبعة الأولى – ١٣٤٩هـ .

(١٨) إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري . تحقيق د. إبراهيم عطوة عوض – دار الحديث – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

(١٩) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) تحقيق .د. حمزة النشرتي – ١٤١٨ هـ .

(٢٠) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام . تحقيق . د.محمد محيي الدين عبد الحميد– مصر ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م .

(٢١) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للبغدادي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

(٢٢) البحر المحيط لأبي حيان – دار الكتاب الإسلامي – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .

(٢٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي . تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الجيل – بيروت – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

(٢٤) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي – دار الفكر – الطبعة الثانية – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

(٢٥) تاج العروس – محمد مرتضى الحسيني الزبيدي – مصر – الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ .

(٢٦) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري . تحقيق . أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - الطبعة الثالثة - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

(٢٧) التبيان في تصريف الأسماء د. أحمد حسن كحيل - مطبعة السعادة - الطبعة الرابعة - ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

(٢٨) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك . حققه . محمد كامل بركات - دار الكتاب العربي بالقاهرة - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

(٢٩) تصريف الأسماء د. أحمد حسن كحيل - مطبعة السعادة - الطبعة السادسة - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

(٣٠) التطور اللغوي التاريخي د. إبراهيم السامرائي - دار الأندلس - الطبعة الثالثة ١٩٨٣م .

(٣١) التطور اللغوي " مظاهره وعلله " د . رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي بالقاهرة - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

(٣٢) التكملة لأبي علي الفارسي . تحقيق . كاظم بحر المرجان ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م .

(٣٣) التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م .

(٣٤) جامع الدروس العربية . مصطفى الغلاييني -المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - الطبعة الثلاثون - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

(٣٥) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)- دار الغد العربي - الطبعة الأولى - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
(٣٦) الجـنى الداني في حروف المعاني للمرادي . تحقيق . د . فخر الدين قباوة ، د . محمد نديم فاضل - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
(٣٧) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك- دار إحياء الكتب العربية - مطبعة الحلبي .
(٣٨) حجة القراءات لأبي زرعة . تحقيق . سعيد الأفغاني - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
(٣٩) الحجة في القراءات السبع لابن خالويه .تحقيق . د . عبد العال سالم مكرم - مؤسسة الرسالة - الطبعة الخامسة - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
(٤٠) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي حققه . بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي - دار المأمون للتراث - الطبعة الثانية - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
(٤١) الحركات العربية في ضوء علم اللغة الحديث د. الموافي الرفاعي البيلي - الطبعة الأولي ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
(٤٢) خزانة الأدب للبغدادي- مطبوعات مصر - بولاق - ١٢٩٩هـ .

(٤٣) الخصائص لابن جني . تحقيق . محمد علي النجار – الهيئة المصرية العامة للكتاب–الطبعة الثالثة١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .

(٤٤) خصائص لهجتي تميم وقيس . د . الموافي الرفاعي البيلي– مطبعة السعادة – الطبعة الأولى – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .

(٤٥) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد د . غانم قدوري الحمد – مكتبة الخلود – بغداد – الطبعة الحادية عشرة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

(٤٦) دراسة الصوت اللغوي . د . أحمد مختار عمر – دار الفكر العربي ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

(٤٧) الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع للشنقيطي – مصر – ١٣٢٨هـ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

(٤٨) الدر المصون في علوم الكتاب المبين للسمين الحلبي . تحقيق . علي محمد معوض وآخرين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .

(٤٩) دروس التصريف . د . محمد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .

(٥٠) ديوان الأعشى تحقيق . عبد العزيز الميمني – القاهرة ١٤٧١هـ – ١٩٥١م .

(٥١) ديوان امرئ القيس – تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم – مصر ١٩٥٨م .

(٥٢) ديوان حسان بن ثابت – بيروت ١٣٨١هـ – ١٩٦١م .

(٥٣) ديوان حميدين ثور الهلالي – تحقيق عبد العزيز الميمني القاهرة ١٣٧١هـ – ١٩٥١م .

(٥٤) ديوان شعر ذي الرمة – كمبردج ١٣٣٧هـ – ١٩١٩ م .

(٥٥) ديوان الشماخ . تحقيق . صلاح الدين الهادي– مصر ١٩٦٨م.

(٥٦) ديوان العجاج . تحقيق . وليم بن الورد– ليبزغ ١٩٠٣م .

(٥٧) ديوان عمر بن أبي ربيعة – بيروت ١٣٨٠هـ – ١٩٦١م .

(٥٨) ديوان عنترة . تحقيق . محمد سعيد المولوي – بيروت . د ت.

(٥٩) ديوان كثير عزة . تحقيق . هنرى بيرس. الجزائر . د ت .

(٦٠) للبيد بن ربيعة تحقيق . د . إحسان عباس– الكويت ١٩٦٢م

(٦١) ديوان النابغة . تحقيق . د . شكري فيصل– بيروت ١٩٦٨م .

(٦٢) رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي . تحقيق . أحمد محمد الخراط – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤هـ .

(٦٣) الرعاية . مكي بن أبي طالب . تحقيق . د . أحمد حسن – دار الكتب العربية ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .

(٦٤) روح المعانـي في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي . حققه . علي عبد الباري عطية – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(٦٥) السبعة في القراءات لابن مجاهد . تحقيق . د . شوقي ضيف – دار المعرفة – الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ .

(٦٦) سر صناعة الإعراب لابن جني . تحقيق . أحمد فريد أحمد – المكتبة التوفيقية ، وتحقيق . مصطفى السقا وآخرين – مطبعة الحلبي – الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ – ١٩٥٤م .

(٦٧) سورة البقرة دراسة صوتية دلالية . د . على سعد عبد الحميد الخولي (رسالة دكتوراه) ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

(٦٨) وشرح أدب الكاتب للجواليقي – مصر ١٣٥٠هـ .

(٦٩) شرح التسهيل لابن مالك . تحقيق . د . عبد الرحمن السيد ، د . محمد بدوي المختون – هجر للطباعة والنشر – الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م .

(٧٠) شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري – دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابى الحلبي .

(٧١) شرح الرضى على شافية ابن الحاجب . حققه . محمد نور الحسن وآخرون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م .

(٧٢) شرح الكافية الشافية لابن مالك حقَّقه د. عبد المنعم أحمد هريدي – جامعة أم القرى – مكة المكرمة .
(٧٣) شرح الكافية للرضي – القاهرة ١٣٠٦هـ
(٧٤) شرح المعلقات السبع للزوزني– مصر ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م .
(٧٥) شرح المفصل لابن يعيش – عالم الكتب – بيروت .
(٧٦) شواذ القراءة واختلاف المصاحف للكرماني– نسخة مصورة من المخطوط رقم ٢٢٤ (قراءات) – مكتبة الجامع الأزهر .
(٧٧) الصاحبي لابن فارس . تحقيق . السيد أحمد صقر – مطبعة الحلبي – دار إحياء الكتب العربية .
(٧٨) العقد الفريد لابن عبد ربه . تحقيق . أحمد أمين وآخرين القاهرة ١٩٤٨م .
(٧٩) علم الصوتيات . د . عبد الله ربيع ، د.عبد العزيز علام – المكتبة التوفيقية .
(٨٠) علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د. إبراهيم محمد أبو سكين – الطبعة الأولى١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .
(٨١) علم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر – دار المعارف بمصر – ١٩٦٩م .
(٨٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د . محمود السعران – دار الفكر العربي – ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

(٨٣) العين للخليل بن أحمد الفراهيدي . تحقيق . د . مهدي المخزومي ، د . إبراهيم السامرائي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
(٨٤) غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .
(٨٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني – طبعة دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .
(٨٦) فتح المتعال على شرح القصيدة المسمَّاة بلامية الأفعال . حمد بن محمد الصعيدي . تحقيق ودراسة . د . عادل محمد حسن (رسالة دكتوراه) ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .
(٨٧) الفتوحات الإلهية لسليمان عمر العجيلي الشهير بالجمل – مطبعة الحلبي. د . ت .
(٨٨) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي . تحقيق . د . جمال طلبة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – مطبعة الاستقامة بالقاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .
(٨٩) فقه اللغة د . علي عبد الواحد وافي – دار نهضة مصر .
(٩٠) في اللهجات العربية د . إبراهيم أنيس – مطبعة الأنجلو المصرية – الطبعة السادسة ١٩٨٤ م .

(٩١) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د . عبد الصبور شاهين – مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٦٦ م .

(٩٢) قضايا ونظرات في فقه اللغة العربية د . إبراهيم محمد أبو سكين – الطبعة الثانية ١٩٩٦ – ١٩٩٧ م .

(٩٣) قطر الندى وبل الصدى لابن هشام – تأليف . د . محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الفكر العربي .

(٩٤) الكافية في النحو لابن الحاجب . شرحها . رضي الدين الاستراباذي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

(٩٥) كتاب سيبويه . تحقيق . عبد السلام محمد هارون – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩٩م .

(٩٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها . مكي بن أبي طالب القيسي . د . محي الدين رمضان – مؤسسة الرسالة – الطبعة الرابعة – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٩٧) اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري . تحقيق . عبد اللطيف حسن عبد الرحمن – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

(٩٨) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة د. عبد العزيز مطر – دار المعارف – الطبعة الثانية ١٤١١هـ –١٩٩١م .

(٩٩) لسان العرب لابن منظور الإفريقي . تحقيق . عبد الله علي الكبير وآخرين – مطبعة دار المعارف .
(١٠٠) اللغة العربية معناها ومبناها . د . تمام حسان – الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٩م .
(١٠١) اللهجات العربية د . إبراهيم محمد نجا – مطبعة السعادة ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦ م .
(١٠٢) اللهجات العربية في التراث د . أحمد علم الدين الجندي – الدار العربية للكتاب ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥م .
(١٠٣) اللهجات في الكتاب لسيبويه (أصواتا وبنية) د . صالحة راشد غنيم آل غنيم – جامعة أم القرى – مكة المكرمة – مركز البحث وإحياء التراث العلمي – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
(١٠٤) اللهجات العربية نشأة وتطوراً د . عبد الغفار حامد هلال – مكتبة وهبة – الطبعة الثانية – ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م .
(١٠٥) مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان .
(١٠٦) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها لابن جني . تحقيق . علي النجدي وآخرين – القاهرة ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م .
(١٠٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية . تحقيق . أحمد صادق الملاح – القاهرة – ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م .

(١٠٨) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه . نشر ج . برجشتراسر – طبعة مكتبة المتبني – القاهرة .

(١٠٩) المخصص لابن سيده – دار احياء التراث العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .

(١١٠) المزهر في علوم اللغة للسيوطي . تحقيق . محمد جاد المولى وزميليه – دار التراث – الطبعة الثالثة د.ت .

(١١١) المصباح المنير للفيومي – مكتبة لبنان – بيروت ١٩٩٠ م .

(١١٢) معاني القرآن للأخفشي الأوسط . تحقيق د . فائز فارس – الكويت – الطبعة الثانية ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

(١١٣) معاني القرآن للفراء . تحقيق . أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي النجار – طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(١١٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج . تحقيق . د . عبد الجليل شلبي – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .

(١١٥) معجم المؤلِّفين . عمر رضا كحالة – مكتبة المثنى – دار إحياء الكتب العربية – بيروت .

(١١٦) مفاتيح الغيب للفخر الرازي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الأولى ١٤٠١هـ – ١٩٨١ م .

(١١٧) المقرب لابن عصفور . تحقيق . الجوارى ، والجبوري – بغداد ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

(١١٨) من أسرار اللغة د . إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة السادسة ١٩٧٨ م .

(١١٩) مناهج البحث في اللغة د . تمام حسان – طبعة دار الثقافة – الدار البيضاء – المغرب – ١٤٠٠ هـ – ١٩٧٩ م .

(١٢٠) موسوعة الحروف د . إميل بديع يعقوب – دار الجيل – بيروت ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

(١٢١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ..

(١٢٢) نهاية القول المفيد . محمد مكى نصر – مطبعة الحلبي – ١٣٩٤ هـ .

(١٢٣) النوادر لأبي زيد الأنصاري – بيروت ١٩٦٧م .

(١٢٤) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي – مصر ١٣٢٧هـ ، تحقيق . أحمد شمس الدين – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

" فهرس المحتويات "

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة .	أ : و
التمهيد : (حياة المؤلِّف في سطور) .	١ : ٤
المبحث الأول : الهمز والتخفيف .	٥ : ٣٢
المبحث الثاني : الإبدال .	٣٣ : ٦٢
المبحث الثالث : الإشباع والاختلاس .	٦٣ : ٩٨
المبحث الرابع : المماثلة والمخالفة .	٩٩ : ١١٦
المبحث الخامس : الوقف على أواخر الكلم وصوره .	١١٧ : ١٤٨
الخاتمة .	١٤٩ : ١٥٢
فهرس المصادر والمراجع .	١٥٣ : ١٦٦
فهرس المحتويات .	١٦٧

دار المستقبل

رقم الإيداع
٢٤٨٠٢ / ٢٠٠٥م

دار المستقبل
لكتابة الرسائل العلمية